مجلة إسلامية . ثقافية . شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

سبيل النجاة

سلاح إسلامى خطيـــــر...

أين المُطَلِّقون؟

صلاة الاستخارة

لقاء التوحيد مع د. الشويعر فى مكة

السنة السادسة والعشرون . العدد السابع . رجب ١٤١٨ هـ . الثمن ٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

التحرير
٨ شارع قوله
عابدين القاهرة
ت ٣٩٣٦٥١٧
فاكس ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات
ت : ٣٩١٥٤٥٦

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام (اتباع الشرع ومخالفة الهوى) ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير (سبيل النجاة) ٦
التفسير : الشيخ عبد العظيم بدوي (الوفاء) ١٠
باب السنة : الرئيس العام (صلاة الاستخارة) ١٦
لقاء التوحيد مع د. سعد الشويعر فى مكة المكرمة ٢٤
قصيدة ٢٩
خير الخيرين وشر الشرين : أسامة سليمان ٣٠
أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبو إسحاق الحويني ٣٤
الفتاوى : ٣٨
سلاح إسلامي خطير : الشيخ مصطفى درويش ٤٢
الاقتصاد الإسلامي : أ.د / علي السالوس ٤٦
عقائد الصوفية : أ / محمود المراكبي ٥٢
باب السيرة : الشيخ عبد الرزاق السيد عيد
(قصة إبراهيم عليه السلام) ٥٨
باب التراجم : الشيخ فتحي أمين عثمان ٦٢

التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض
التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

اقرأ في العدد القادم

(إن شاء الله) :

التوحيد

١ - البكاء في الصلاة

الرئيس العام

٢ - المستقبل لهذا الدين

الشيخ عبد العظيم بدوي

٣ - أحكام تتعلق بشهر شعبان

أبو بكر الحنبلي

مع القراء

أكل الحلال

قال عمر بن صالح : سألت أبا عبدالله ..يعنى الإمام أحمد بم تلين القلوب ؟ فأبصر إلى،ثم أطرق ساعة ،فقال بأى شىء؟بأكل الحلال فذهبت إلى أبى نصر فقلت له : ياأبا نصر ،بم تلين القلوب ؟ فقال :"ألا بذكر الله تلين القلوب " فقلت له : فإنى سألت أباعبدالله ،فتهلل وجهه ،وقال :سألته ؟قلت نعم . قال :هيه .قلت :قال لى :بأكل الحلال فقال : جاءك بالأصل كما قال .

فذهبت إلى عبدالوهاب ،فقلت :يا أبا الحسن ،بم تلين القلوب ؟فقال :"ألا بذكر الله تلين القلوب " فقلت له فإنى سألت أباعبدالله ،فاحمر وجهه من فرحه باحمد !!فقال :سألت أباعبدالله ؟ قلت :نعم .قال "هيه قلت :قال :بأكل الحلال ،فقال لأصحابه :ألا تسمعون ؟ أجابه بالجوهر ، أجابه بالجوهر،الأصل كما قال ،الأصل كما قال .

رضى الله عن الجميع !

رئيس التحرير

ثمن النسخة
السعودية ٦ ريالات - الإمارات ٦ دراهم - الكويت ٥٠٠ فلس - المغرب دولار أمريكي - الأردن ٥٠٠ فلس - السودان ١.٥٠ جنيه مصري - العراق ٧٥٠ فلس - قطر ٦ ريالات - مصر ٧٥ قرشا - عمان نصف ريال عماني .

الاشتراك السنوي
١ - في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم مجلة التوحيد على مكتب عابدين) .
٢ - في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما .
ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب عابدين أو بنك فيصل الإسلامي المصري فرع القاهرة باسم مجلة التوحيد أنصار السنة المحمدية (حساب رقم ١٩٥٩٠) .

اتباع الشرع ... ومخالفة الهوى

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه . وبعد :

فإن غرورًا بالغًا يصيب الناس في كل زمان ، خاصة هذا الزمان ، حيث ينظرون إلى أنفسهم أنهم أهل التقدم والحضارة والرقي ، وأن من سبقهم هم أهل التخلف والانحطاط والرجعية ، فيقولون : وصلنا من العلوم ما لم يدركه السابقون ، فأقوالنا وآراؤنا أعلم وأحكم ، ومن عجب أنهم يقولون ذلك حتى في أمور الشرع والدين !! فيجعلون الخلف في معرفة اللّه بأسمائه وصفاته أعلم وأحكم من السلف ، وهذه مقولة خبيثة تحمل أصحابها ومن اغتر بهم على رد ما جاء به الشرع .

والإنسان قد وهبه اللّه في كل عصر من العلوم ما ينظم بها حياته ، فلا ينبغي أن يتطاول بها أو يطغى ، فإن فعل أخذه اللّه أخذ عزيز مقتدر .

وبعض العصور الماضية قد بلغ الإنسان فيها طرفًا من العلوم المادية ، عجز رجال اليوم ومفكروه عن معرفته واستخدامه ، من أمثلة ذلك قوم عاد وثمود وقوم فرعون ، فقوم عاد يبنون مدينة ((إرم)) التي قال عنها رب العزة سبحانه : ﴿ إرم ذات العماد ۞ التي لم يُخلق مثلها في البلاد ﴾ [الفجر : ٧، ٨] ، ووصف قوم ثمود بقوله : ﴿ الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ [الفجر : ٩] ، وبقوله : ﴿ ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين ﴾ [الحجر : ٨٢] ، وكذلك وصف قوم فرعون بقوله : ﴿ وفرعون ذي الأوتاد ﴾ [الفجر : ١٠] ؛ أي الذين يبنون الجبال ، فالأهرامات في بنائها وتحنيط جثث موتاهم بها ، وما طلبه فرعون من وزيره أن يبني له صرحًا يبلغ به السماء ، كل ذلك من العلوم ما يعجز علماء اليوم أن يعرفوه .

ففي مجالات التقدم العمراني كانت عاد وثمود وقوم فرعون مضرب الأمثلة في القرآن الكريم .

☐ **على المسلم الذي يريد أن يتحرى عن أمر دينه أن يتابع قرارات المجامع ، فسيجد بغيته المنشودة .**

☐ **الفتاوى الفردية في المستجدات العصرية متفاوتة تفاوتا كبيرًا ، بينما قرارات المجامع العلمية إن لم تكن متطابقة فهي متقاربة جدًا .**

☐ **لا يجوز لمجمع جديد أن ينقض فتوى لمجمع فقهي سابق ، بل كلما اتسع ما لديهم من علوم وخبراء ومتخصصين يدلون بدلوهم ويوضحون حقيقته العلمية وأدلته الشرعية . كانت قراراتهم أصوب وأحكم .**

أما في مجال التقدم الطبي ؛ فنحن نظن أن الإنسان قديمًا كان عاجزًا عما نعرفه اليوم من علوم وأبحاث في طب الأبدان ، وهذا من غرورنا ، لكن ظهر للباحثين خلاف ذلك ، ففي العصر البرونزي عرف الإنسان عملية التربنة التي يستبدل فيها جزء تالف من عظام الدماغ وهي من الجراحات الدقيقة ، وعرف القدماء المصريون زراعة الأسنان ، وعرف الهنود قبل الميلاد بسبعة قرون عملية ترقيع الجلد ، ولا تزال طريقتهم هي المستخدمة اليوم عند الأطباء المعاصرين مع بعض التعديلات الطفيفة .

هذا ؛ والله سبحانه الذي بعث كل نبي بمعجزة يبهر بها قومه فيما كانوا يجيدون ويحسنون ، بعث المسيح ، عليه السلام : ﴿ وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن اللّه ﴾ [آل عمران : ٤٩] ، وذلك لأن القوم برعوا في الطب بما لم يبلغه من قبلهم ولا من بعدهم .

وليس بغريب علينا ما نراه من طب العرب القدماء من العطارة والأعشاب ما يحتاجه أطباء اليوم ويتداولونه .

وإن التقدم العلمي اليوم والتطور الهائل لا نستطيع له إنكارًا ، وإنما أردت أن أبين أن

حلقات التقدم المادي متغيرة على مر التاريخ ، والتقدم فيها ليس دليل تقدم ورقي شامل ، فالله سبحانه عاب أقوامًا بقوله : ﴿ يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [الروم : ٧] ، وإن زيادة التقدم العلمي قرب الساعة يشهد له قوله تعالى في سورة ((يونس)) : ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس ﴾ [يونس : ٢٤] .

ولكن التقدم العلمي والتقني اليوم في غرس الأعضاء وغيره أفاد كثيرًا ، وأدى خدمات للبشرية ، إلا أنه من جهة أخرى وضعنا أمام قضايا فقهية ومشاكل أخلاقية كثيرة لا بد من وضع حلول شرعية لها ، وهذه القضايا الجديدة في أمور الطب والقضايا القريبة منها في أمور المال قد تتفاوت فيها أنظار الفقهاء والعلماء المتخصصين بين مجيزين يحلون منها الكثير وبين متحفظين ينهون منها عن اليسير فينظر غير المتخصص فيحتار في هذه الأقوال المختلفة ويحتار ماذا يعمل ؟!

لذا فإنه ينبغي علينا في كل أمر حادث جديد أن ننظر إلى فتاوى المجامع العلمية المعتبرة التي يشهدها عدد كبير من علماء العالم الإسلامي ، والتي يستعان فيها بالخبراء والمتخصصين دون تأثير على أقوالهم وقراراتهم من نظام سياسي أو مطمع دنيوي مادي ، فقراراتهم هي الأقرب إلى سبيل المؤمنين الذي قال رب العزة عنه : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

هذه المجامع الفقهية كثيرة في العالم الإسلامي ، مثل مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، ومجمع الفقه الإسلامي بجدة ، والمجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وغيرها من المجامع الفقهية .

وسيجد المسلم الذي يريد أن يتحرى عن أمر دينه في قرارات هذه المجامع بغيته المنشودة ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)) ، فإن العلم هو أفضل ما يتقي به العبد الشبهات ، فإن المشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، أي يعلمهن قليل من الناس ، هم العلماء ، فيطلب علمها عندهم .

لذا فإنك تجد الفتاوى الفردية في المستجدات العصرية متفاوتة تفاوتًا كبيرًا ، بينما قرارات المجامع العلمية إن لم تكن متطابقة فهي متقاربة جدًّا ، وهي بتحفظات علمائها الصادرة في قراراتهم لا تكاد تختلف مع غيرها من نظائرها .

وليس معنى هذا ادعاء العصمة لهذه القرارات بحيث لا يجوز لمجمع جديد أن ينقض فتوى لمجمع فقهي سابق ، بل كلما اتسع ما لديهم من علوم وخبراء ومتخصصين يدلون بدلوهم ويوضحون حقيقته العلمية والأدلة الشرعية والوقائع والنتائج والتطبيقات ورصدها ، كلما كثر ذلك ، كانت قراراتهم أصوب وأحكم .

لذا فعلى المسلم أن يأخذ في المستجدات العصرية ، مثل أحكام الأموال والبنوك والبورصة وأحكام الجراحات الحديثة ، وما شابه ذلك عليه أن يأخذ بفتاوى المجامع العلمية المعتبرة دون ادعاء العصمة لها .

أما الفتاوى الفردية ، فمع إجلالنا وتقديرنا واحترامنا لمن أفتوا بها ، فإننا نضعها في موضعها الصحيح ، غير معارضين بها فتاوى وقرارات المجامع العلمية .

يقول ابن المبارك : (رب رجل في الإسلام له قدم حسن وآثار صالحة كانت منه الهفوة والزلة لا يقتدى به في هفوته وزلته) .

كتبت هذه الكلمات تنبيهًا على مسألة هامة ؛ وهو أنه في الأمور الحادثة العصرية التي لم يسبق لها نظير يجب اتباع فتاوى وقرارات اللجان العلمية المعتبرة التي يشهدها عدد كبير من علماء العالم الإسلامي متجردين من الضغوط السياسية والمادية ، فهي أرشد وأوثق وأوفق ، مع عدم إعمال اللسان أو الطعن في المخالفين من العلماء ، مع إيماننا أنهم في قولهم الذي خالفوا فيه المجامع العلمية قد خالفهم الصواب ، فهي منهم هفوة وزلة لا يقتدى بهم فيها . والله أعلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد صفوت نور الدين

كلمة التحرير

سبيل

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ، ومع هذا فقد هدى الله على يديه أمة بأسرها ، وكان صلى الله عليه وسلم يستعمل أساليب مختلفة متنوعة لدعوة أصحابه وتعليمهم ، وقد جلس يومًا بين أصحابه ، وفي يده الشريفة عصا ، فخط بها خطًّا مستقيمًا على الأرض ، وقال : ((هذا صراط الله المستقيم)) ، ثم خط خطوطًا عن يمينه وخطوطًا عن شماله وقال : ((وهذه طرق على رأس كل منها شيطان يدعو إليه)) ، ثم تلا قول الله عز وجل : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

ومن هذا البيان نعلم أن الطريق الموصّل إلى الله واحد لا يتعدد هو الصراط المستقيم ، وأن كل طريق غيره على رأسه شيطان ! فمن عرف الطريق إلى الله معرفة صحيحة فقد نجا ، ومن انحرف عنه وسلك غيره فقد ضل ضلالاً بعيدًا .

❋ ولكن كيف نعرف الطريق إلى الله ؟ وما علاماته التي تدل عليه ؟ إن العلماء يجيبون على هذا السؤال الهام جدًّا فيقولون : الطريق إلى الله يجتمع في أربع كلمات !! من فهمها وعمل بها فقد استقام على الصراط كما أمره الله :

- فالأولى : أن تعرف ربك معرفة صحيحة .
- والثانية : أن تعرف ماذا صنع الله بك .
- والثالثة : أن تعرف ماذا أراد منك .
- والرابعة : أن تعرف كيف تخرج من ذنبك إذا أذنبت أو أخطأت .

لو أذن الله لنا أن نختار لأنفسنا صورة تخلق عليها لعجزنا عن اختيار صورة أجمل أو أكمل من هذه الصورة !! ولو تغيرت هذه الصورة عما هي عليه الآن لعاش الإنسان على الأرض ذليلاً مهينًا شقيًّا !!

النجــاة

فضيلة الشيخ / صفوت الشوادفي

❋ **فأما الكلمة الأولى أن تعرف الله** ، فإن العبد يعرف ربه معرفة صحيحة إذا عرف توحيده معرفة صحيحة ! وتوحيد الله هو أصل الإيمان ، وغايته ، وهدفه وثمرته ، ويتحقق التوحيد إذا فهمت كيف توحد الله ربًا ؟ وكيف توحده إلهًا ؟ وكيف توحد الله في أسمائه وصفاته ؟ فأما توحيد الله ربًا ، وهو الذي يسمى توحيد الربوبية ، فمعناه المجمل : أن تعتقد أن الله – سبحانه وتعالى – هو ربك ورب كل شيء ، ولا رب لك غيره ، فهو وحده الذي خلق ورزق ، وهو وحده الذي يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، وهو الذي أمات وأحيا ، وقدر وهدى ، يدبر الأمر ، ويقدر الخير والشر ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن أحاط بكل شيء علمًا ، وأحصى كل شيء عددًا .

وأما توحيد الله إلهًا ، وهو توحيد الألوهية ، فمعناه المجمل : أن تعتقد أن الله – جل وعلا – هو إلهك ، وإله كل شيء ، ولا إله لك غيره ، فله وحده نتوجه ، ونعبد ، وله سبحانه نركع ونسجد ، فالصلاة والصيام والزكاة والحج ، والرجاء والخوف ، والدعاء والنذر والاستعانة والاستغاثة ، والخشية والإنابة والتوكل ، وكل عبادة يفعلها العبد لله رب العالمين لا شريك له .

قال الله – عز وجل –: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

وأما توحيده في أسمائه وصفاته ، فمعناه المجمل : أن تعتقد أن الله سبحانه هو الكامل في أسمائه وصفاته ، ولا كامل غيره ، وهو المنزه عن كل نقص ، ولا منزه غيره ، وهذا يعني أن نصف الله سبحانه بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف

لقد أراد الله منا أن نفعل كل ما أمرنا به بشرط أن يكون خالصًا صوابًا ، وأراد منا أن نجتنب كل ما نهانا عنه ، أو إن شئت فقل : أراد منا أن نكون عبيدًا له بكل ما تعنيه هذه الكلمة ! فلا نتقدم ولا نتأخر إلا بإذنه ، ولا نسكن ولا نتحرك إلا بأمره ! وكلما ازددنا له ذلاً زادنا به عزًا !!

ولا تعطيل ، وتنفي عن اللّه كل صفة نقص نفاها عن نفسه ؛ كقوله : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وأن نسكت عما سكت اللّه عنه .

❁ **وأما الكلمة الثانية** : أن تعرف ماذا صنع اللّه بك ؟

وهذا السؤال يحتاج إلى تدبر وتفكر ؛ وهذا الأخير يثمر زيادة الإيمان ، وقوة اليقين ، وقد صنع اللّه بنا أمورًا كثيرة من أعجبها : هذه الصورة التي خلقنا اللّه عليها في أحسن تقويم ، ولو أذن اللّه لنا أن نختار لأنفسنا صورة نخلق عليها لعجزنا عن اختيار صورة أجمل أو أكمل من هذه الصورة !! ولو تغيرت هذه الصورة عما هي عليه الآن لعاش الإنسان على الأرض ذليلاً مهينًا شقيًّا !! وإلا فماذا تكون الحياة لو خلق اللّه لك عينًا واحدة في رجلك !! أو يدًا واحدة في ظهرك ، أو جعلك تمشي على أربع كبعض المخلوقات ، أو خلق لك ذيلاً كالحيوانات !! فتبارك اللّه أحسن الخالقين .

وكما أن اللّه قد اختار لنا أحسن صورة ، فخلقنا عليها دون أن نكون شاهدين ولا حاضرين ، فقد اختار لنا أحسن دين لنعبده به : ﴿ يا بني إن اللّه اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] ، فالذي اختار لنا الصورة هو الذي اختار لنا الدين ؛ فالواجب أن نقرّ بشريعته كما شهدنا بجميل صنعته !!

ومن عجيب ما صنعه اللّه بنا أنه – سبحانه – أغلق أبواب المعصية في وجوهنا ، فلم يفتح منها باب إلا من طريق نعمة من نعم اللّه ، فلا يمكن للعبد أن يرتكب معصية أبدًا إلا باستعمال نعمة من نعم اللّه عليه ؛ فمعصية السرقة بنعمة اليد ، ومعصية النظر الحرام بنعمة العين ، واستماع الحرام بنعمة الأذن ، وهكذا ، ثم جعل من هذه النعم شهودًا تشهد على صاحبها بين يدي اللّه يوم القيامة .

والأمثلة على ما صنعه اللّه بنا كثيرة لا تدخل تحت عدّ ولا حصر ، ولكننا نكتفي بما ذكرناه ، وننبه به على ما تركناه .

❁ وأما الكلمة الثالثة على طريق النجاة الموصل إلى اللّه : أن تعرف ماذا أراد اللّه منك ؟

فإذا سألت نفسك أو سألت غيرك هذا السؤال الهام ؛ فإن معرفة جوابه الصحيح مدخل عظيم إلى طريق النجاة ، ويمكن أن نجمل الجواب في

مما لا شك فيه أن كل بني آدم خطاء ، وأننا نذنب بالليل والنهار ، وأننا بحاجة دائمة إلي مغفرة اللّه ، واللّه لا يغفر لكل أحد ! وإنما وصف نفسه سبحانه بأنه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

كلمات قصيرة قليلة ، فنقول : لقد أراد الله منا أن نفعل كل ما أمرنا به بشرط أن يكون خالصًا صوابًا ، وأراد منا أن نجتنب كل ما نهانا عنه ، أو إن شئت فقل : أراد منا أن نكون عبيدًا له بكل ما تعنيه هذه الكلمة ! فلا نتقدم ولا نتأخر إلا بإذنه ، ولا نسكن ولا نتحرك إلا بأمره ! وكلما ازددنا له ذلاً زادنا به عزًّا !!

وهو القائل – سبحانه –: ﴿ واسجد واقترب ﴾ [العلق : ١٩] ، فالسجود غاية الذل لله ، والقرب غاية الرفعة والعز !

❁ **والكلمة الرابعة** : أن تعرف كيف تخرج من ذنبك وخطيئتك ، إذا أذنبت أو أخطأت .

مما لا شك فيه أن كل بني آدم خطاء ، وأننا نذنب بالليل والنهار ، وأننا بحاجة دائمة إلى مغفرة الله ، والله لا يغفر لكل أحد ! وإنما وصف نفسه سبحانه بأنه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وأنه سبحانه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ، ثم اهتدى ، فهذه الأربعة : توبة ، وإيمان ، وعمل صالح ، واستقامة ؛ من فعلها فقد وجبت له المغفرة .

وكل ذنب تفعله تحتاج بعده إلى أمرين حتى تتخلص منه :

– أن تستغفر الله من هذا الذنب ؛ فتقول بعده : استغفر الله .

– ثم تتوب إلى الله ؛ والتوبة في حقيقتها : ندم وإقلاع ، وعزم على ألا تعود إلى ذلك الفعل القبيح .

وأقبح من الذنب أن تستهين به ؛ فتراه صغيرًا ، وهو عند الله عظيم .

وبعد : فهذه كلمات أربع جاء الحديث عنها مجملاً ، ونترك معرفة تفصيلها للقراء الكرام إذا أخذوا بأسباب ذلك من طلب للعلم وتحصيله بكل طريق مشروع يوصل إليه ويدل عليه ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

صفوت الشوادفي

من عجيب ما صنعه الله بنا أنه - سبحانه - أغلق أبواب المعصية في وجوهنا ، فلم يفتح منها باب إلا من طريق نعمة من نعم الله ، فلا يمكن للعبد أن يرتكب معصية أبدًا إلا باستعمال نعمة من نعم الله عليه ، ثم جعل من هذه النعم شهودًا تشهد على صاحبها بين يدي الله يوم القيامة .

الوفاء

بقلم

فضيلة الشيخ / عبد العظيم بدوي

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

عن أنس بن مالك ، رضي اللّه عنه ، قال : غاب عمّي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول اللّه ! غبتُ عن أول قتال قاتلت فيه المشركين ، لئن أشهدني اللّهُ قتال المشركين ليرينّ اللّهُ ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني ؛ أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني ؛ المشركين - ثم تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ! الجنة ، وربّ الكعبة ، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول اللّه ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قُتل ومثّل به المشركون ، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنانه ، قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه ﴾ [متفق عليه] .

إن الوفاء صفة من صفات اللّه ، عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وإن كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ [هود : ١١١] ، وقال تعالى : ﴿ ومن أوفى بعهده من اللّه ﴾ [التوبة : ١١١] ، وقد اعترف أهل الجنة وأهل النار بوفاء اللّه لهم جميعًا ، قال تعالى : ﴿ ونادى أصحابُ الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا قالوا نعم ﴾ [الأعراف : ٤٤] ، ولقد أمر اللّه تعالى عباده بالوفاء ، ونهاهم عن الغدر ، فقال تعالى : ﴿ وبعهد اللّه أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾ [الإسراء : ٣٤] ، وقال تعالى :

☐ يجب على كل مسلم أن يكون وفيًا للّه ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .

☐ الوفاء للّه عز وجل يتحقق بإفراده بالعبادة ، بأن تعبده وحده ولا تشرك به شيئًا ، فقد أخذ اللّه عليك العهد والميثاق بذلك ، وأقررت له به .

☐ علينا أن نجل علماءنا ونحترمهم ونقدرهم ونكرمهم ، ومن أكرمنا اللّه بصحبته منهم فعلينا أن نحمله فوق رءوسنا ، وأن نخدمه بأنفسنا ، فقد فعل ذلك من هو خير منا .

﴿ وأوفوا بعهد اللّه إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم اللّه عليكم كفيلاً ﴾ [النحل : ٩١] ، وقال تعالى : ﴿ ولا تشتروا بعهد اللّه ثمنًا قليلاً إنما عند اللّه هو خير لكمْ إن كنتم تعلمون ﴾ [النحل : ٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد اللّه وأيمانهم ثمنًا قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم اللّه ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

وجعل سبحانه وتعالى الوفاء من دلائل الصدق والإيمان ، والغدر ونقض العهد من دلائل الكذب والنفاق ، فقال تعالى : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقال تعالى في حقّ المنافقين : ﴿ ومنهم من عاهد اللّه لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونَنّ من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا اللّهَ ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ [التوبة : ٧٥- ٧٧] .

ومدح اللّهُ تعالى الأوفياء فقال : ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ [النجم : ٣٧] ، وقال عن الأبرار : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شرُّه مستطيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] .

من هنا وجب على كل مسلم أن يكون وفيًّا ؛ وفيًّا للّه ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .

أما الوفاء للّه ، عز وجل ، فيتحقق بإفراده بالعبادة ، بأن تعبده وحده لا تُشرك به شيئًا ، فقد أخذ اللّه عليك العهد والميثاق بذلك ، وأقررت له به ، قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾

[الأعراف : ١٧٢] .

ولما كان من طبيعة الإنسان النسيان ، فقد بعث الله رسله مبشرين ومنذرين ، وبهذا العهد مذكرين ، فمن أطاعهم فقد وفّى ، ومن عصاهم فقد نقض عَهْد الله من بعد ميثاقه ، والله تعالى يُنكر على من لا يجيب رسوله ولا يفي بعهده فيقول : ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ﴾ [الحديد : ٨] ، ويوم القيامة يوبّخ اللهُ تعالى الذين نقضوا الميثاق ، يوبّخهم على رءوس الأشهاد فيقول : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ۝ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبينٌ ۝ وأن اعبدوني هذا صراطٌ مستقيمٌ ۝ ولقد أضلَّ منكم جبلاً كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون ۝ هذه جهنم التي كنتم توعدون ۝ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ [يس : ٥٩ - ٦٤] .

وعن أنس ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا : لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتديًا بها ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أيسر من هذا وأنت في صلب آدم ، أن لا تشرك بي شيئًا ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة ، فأبيت إلا الشرك)) . [مسلم] .

فـ ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره ﴾ [الأعراف : ٥٩] ، ﴿ وبعهد الله أوفوا ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

أما الوفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيتحقق باتباعه والتمسك بسنته واقتفاء آثره ، والذب عن شريعته ، والدعوة إلى سنته ، فإن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم أحياء أن يتبعوه ، وأقرّوا بذلك ، فغيرهم من عامة الناس أولى ، قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] .

ولقد فرض الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ [النساء : ٥٩] ، وجعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة له ، فقال : ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠] ، وجعل طاعته من موجبات الهداية ، فقال : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ [النور : ٥٤] ، وجعل اتباعه عنوان محبته ، فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فمن أطاع رسول الله فيما جاء به من عند الله واتبعه عليه فقد وفّى لله ورسوله ، ومن عصى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع غير سبيله فقد نقض عهده مع الله ورسوله ، والله تعالى قد حذّر من ذلك ، فقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ ﴾ [النور : ٦٣] ، وقال سبحانه : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونُصله جهنم وساءت

مصيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] ، ولذلك قال الجنيد – رحمه الله –: الطرق كلها مسدودة إلا طريق محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن الله قال له : ((وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك)) . [((طريق الهجرتين)) لابن القيم : ص٧] .

أما الوفاء لكتاب الله فيتحقق بالاعتصام به كما أمر الله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، قال صلى الله عليه وسلم : ((كتاب الله هو حبل الله الممدود بين السماء والأرض)) . [صحيح . رواه الترمذي وغيره] .

فيجب أن نعتصم بالقرآن ، وأن نستمسك به ، كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فاستمسك بالذي أوحي إليك ﴾ [الزخرف : ٤٣] ، وينبغي أن نتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، كما أمر الله تعالى : ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وأن نهتم بتدبره أثناء قراءته ، كما قال تعالى : ﴿ كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدبّروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ [ص : ٢٩] ، وأن نحلّ حلاله ، ونحرّم حرامه ، ونقف عند حدوده ، ونجعله دستورنا الذي ينظم حياتنا ويحكم في جزئياتها وكلياتها .

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء ، وهم الذين قاموا فينا مقام النبي صلى الله عليه وسلم وعلمونا الوفاء لله ولرسوله ولكتابه ، فيجب علينا أن نكون أوفياء لعلمائنا السابقين منهم واللاحقين ، من تعلّمنا من كتبهم ومن تعلمنا من أفواههم ، ومن الوفاء لهم أن لا نذكرهم إلا بالجميل ، وأن نترضّى عليهم ونترحم ، ولا نذكرهم بسوء ، ولا نتتبع زلاتهم ، وأن نعرف لهم فضلهم ، ونعترف بجميلهم ، وأن نعرف الناس بهم ، ونذكر لهم مآثرهم ومناقبهم حتى يجلّوهم ويحترموهم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((ليس منا من لم يُجلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه)) . [صحيح . رواه أحمد وغيره] .

فعلينا أن نجلّ علماءنا ونحترمهم ونقدرهم ونكرمهم ، ومن أكرمنا الله بصحبته منهم ، فعلينا أن نحمله فوق رءوسنا ، وأن نخدمه بأنفسنا ، فقد فعل ذلك من هو خير منا ، كما قال ابن عبد البر – رحمه الله –: روينا من وجوه عن الشعبي قال : صلى زيد بن ثابت على جنازة ، ثم قُربت له بغلة ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال له زيد : خلّ عنه يابن عمّ رسول الله ، فقال ابن عباس : هكذا يفعل بالعلماء . [((جامع بيان العلم وفضله)) : ١/١٢٨] .

ولنكن أوفياء لآبائنا وأمهاتنا ، فقد قدّموا لنا الكثير والكثير ، والله تعالى يقول : ﴿ هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠] ، فلنجتهد في برّهم وخدمتهم والإحسان إليهم ؛ حتى نحاول أن نكافئهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((من أتى إليكم معروفًا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه)) [صحيح . رواه أبو داود وغيره] .

ونحن مهما قدّمنا لآبائنا لن نكافئهم ، كما قال صلى اللّه عليه وسلم : ((لا يجزي ولدٌ والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه)) . [صحيح . رواه مسلم وغيره] .

فلنجتهد إذن في الدعاء لآبائنا في حياتهم وبعد مماتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] ، فإن هذا الدعاء ينفعهما ، كما قال صلى اللّه عليه وسلم : ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)) . [مسلم] .

ومن الوفاء لهما بعد موتهما ؛ أن تكرم من كان يصلهما ويودّهما ، فإن ذلك برّ لهما ، كما قال صلى اللّه عليه وسلم : ((إن أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل وُدّ أبيه)) . [صحيح] .

ومن الوفاءِ الوفاءُ للأزواج ؛ فليكن الزوج وفيًّا لزوجه ، يحسن صحبتها ، ويعرف لها حقها ، ويعاشرها بالمعروف ، كما أمر اللّه رسوله ، قال تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ [النساء : ١٩] ، وقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : ((استوصوا بالنساء خيرًا)) . [متفق عليه] .

وعلى الرجل أن يغضّ طرفه عن زلّة امرأته ، وأن لا يتعجل بطلاقها وإن كرهها ، فإن اللّه تعالى قال : ﴿ فإن كرهتموهنَّ فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل اللّه فيه خيرًا كثيرًا ﴾ [النساء : ١٩] ، وقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : ((لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة ، إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر)) . [صحيح] .

فكم خدمتك زوجتك ، وكم سهرت من أجلك ، وكم شقيت معك ، وكافحت لتبني حياتك ومستقبلك ، فاعرف لها فضلها ، واحفظ لها جميلها ، وكن وفيًّا لها ، لا تغدر بها ولا تخنها ، ولا تضيّعها ولا تفارقها ، واقتد بالنبي صلى اللّه عليه وسلم ، فلقد كان المثل الأعلى في الوفاء لأزواجه ، تزوج خديجة ، رضي اللّه عنها ، فأقام معها خمسًا وعشرين سنة ، لم يتزوج عليها حتى ماتت ، وكان بعد موتها يذكرها بالجميل ويثني عليها ويبرّ أهلها وخلائلها وفاءً لها ، حتى غارت عائشة ، رضي اللّه عنها ، منها ولم ترها - كما صحّ بذلك الحديث عنها - قالت : ما غِرت على أحد من نساء النبي صلى اللّه عليه وسلم ما غرت على خديجة ، رضي اللّه عنها ، وما رأيتها قط ، ولكن كان يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثم يقطعها أعضاءً ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ، فيقول : إنها كانت وكانت ، وكان لي منها كذا وكذا ..

فليكن الرجل وفيًّا لزوجه ، ولتكن المرأة وفيّة لزوجها ، فإن فضله عليها عظيم ، وحقّه عليها كبير ، حتى قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : ((لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو

صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذي نفسي بيده لو أن من قدمه إلى مفرق رأسه قُرحة تنبجس بالقيح والصديد ، ثم أقبلت تلحسه ما أدت حقه)) . [صحيح . رواه أحمد وغيره] .

فحسب المرأة أن تحاول أن تقترب من الكمال وإن لم تبلغه ، حسبها أن تجتهد في الوفاء لزوجها وإن لم تف بحقه ، ولتحفظ المرأة زوجها في نفسها وماله ، ولتجتهد في تجميل صورتها وتحسين هيئتها بما أباح اللّه لها لتسرّ زوجها ، ولتبادر المرأة إلى طاعة زوجها كلما أمرها في أية ساعة من ليل أو نهار ، ولتحرص كل الحرص على ذلك ، فإن طاعتها لزوجها كطاعتها لربها ، ولذا قال صلى اللّه عليه وسلم : ((إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت)) . [صحيح . رواه أحمد وغيره] .

ومن أروع أمثلة وفاء المرأة لزوجها ما حفظه التاريخ لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان - رحمها اللّه - أن زوجها عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين رغبها في التبرع بحليّها ومجوهراتها لبيت مال المسلمين فتبرعت به ، ثم لم يلبث عمر أن مات ولم يترك لها ولا لأولادها شيئًا ، فجاء مسئول بيت المال ، فقال لها : إن حُليّك ومجوهراتك كلها موجودة ، احتفظت بها لك لمثل هذا اليوم ، ولم أودعها بيت المال ، وقد جئت أستأذنك لآتيك بها ، فقالت : لقد تبرعت بها لبيت المال طاعةً لأمير المؤمنين في حياته ، وما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتًا . [((مقدمة آداب الزفاف)) للألباني] .

ومن الوفاء وفاء الصديق لصديقه في حياته وبعد مماته ، فلا يهجره لغنًى أصابه ، أو وظيفة عالية وصل إليها ، وإذا مات وصل أبناءه وبرّهم وقضى حوائجهم ومصالحهم ، وأنزلهم من نفسه منزلة أولاده ، ومن محاسن الإسلام أنه أمر أتباعه بالوفاء للكافرين إذا كان لهم عهد وميثاق ، حتى ولو بلغ المسلمين أن الكافرين عزموا على الخيانة ونقض العهد لا يجوز للمسلمين أن يسابقوهم إلى الخيانة ، بل يوجب عليهم الإسلام أن يعلموهم بنقض العهد وإنهاء الصلح ، قال تعالى : ﴿ وإمّا تخافنّ من قومٍ خيانةً فانبذ إليهم على سواءٍ إن اللّه لا يحب الخائنين ﴾ [الأنفال : ٥٨] ، وعن سُليم بن عامر قال : كان بين معاوية وبين الروم عهد ، وكان يسير نحو بلادهم ليقرب ، حتى إذا انقضى العهد غزاهم ، فجاء رجل على فرسٍ أو برذون وهو يقول : اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، وفاء لا غدر ، فإذا هو عمر بن عبسة ، فأرسل إليه معاوية ، فسأله فقال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : ((من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء)) ، فرجع معاوية . [صحيح . رواه أبو داود وغيره] .

فما أحسن الإسلام !! وما أجمل الوفاء .

باب السنة

صلاة الاستخارة

عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به». قال: «ويسمي حاجته».

[أخرجه البخاري].

أجمع العلماء على أن الاستخارة وصلاتها مشروعة، ودليل مشروعيتها؛ حديث جابر المذكور، وأحاديث الاستخارة غير حديث جابر المذكور جاءت عن ابن مسعود عند الطبراني والحاكم وصححه، وأبي أيوب عند الطبراني وصححه ابن حبان والحاكم، وعن أبي سعيد وأبي هريرة أخرجهما ابن حبان في ((صحيحه))، وحديث ابن عمر وابن عباس حديث واحد أخرجه الطبراني، وليس في شيء من هذه الأحاديث ذكر الصلاة سوى حديث جابر، إلاَّ أن لفظ أبي أيوب: ((اكتم الخطبة وتوضأ فأحسن الوضوء، ثم صلِّ ما كتب الله لك)) الحديث، فالتقييد بركعتين خاص بحديث جابر، وجاء ذكر الاستخارة في حديث سعد: ((من سعادة ابن آدم استخارة الله)). [أخرجه أحمد، وسنده حسن].

بقلم

الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

والاستخارة طلب الخيرة ، والمقصود هنا طلبها من اللّه سبحانه ، والمراد طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما ، وخار اللّه له : أي أعطاه ما هو خير له .

وجاء في الحديث : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، وهو من العام الذي أريد به الخصوص ، فإن الواجب والمستحب لا يستخار في فعلهما ، والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما ، ولكن يُستخار في الأمر المباح ، أو يستخار في المستحب إذا تعارض فيه أمران ، أيهما يبدأ به أو يقتصر عليه ، ويستخار في الوسائل المباحة لأداء واجب أو ترك محظور ، أو يُستخار عند تعارض مضرتين ؛ كأن تنهى متمرد عات عن منكر واقع تخشى الضرر من وراء نهيه .

قال ابن حجر : وتدخل الاستخارة فيما عدا ذلك في الواجب والمستحب المخير ، وفيما كان زمنه موسعًا .

ويقول العيني في ((العمدة)) : في الحديث : ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)) ، لكن إن خشي ضررًا عامًّا للمسلمين فلا ينكر ، وإن خشي على نفسه فله الإنكار ، ولكن يسقط الوجوب .

هذا ونص الدعاء يتناول عموم العظيم من الأمور والحقير منها ، فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم ، ورب أمر يستخف به فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم ، أو في تركه ، حتى قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ((وليسأل أحدكم ربه حتى في شسع نعله)) .

هل الاستخارة فريضة ؟

إجماع العلماء على أنه ليس من الفرائض في الصلاة إلا الخمس ؛ لحديث : ((خمس صلوات في اليوم والليلة)) ، ولحديث الأعرابي الذي

وليعلم العبد أن الاستخارة ليست طلب معرفة لعلم الغيب الذي ستره اللّه ، إنما هي طلب تيسير المقدور من عنده سبحانه ، أما راحة النفس ورؤيا النوم فهي تتعلق بأمر غيب كُشف للعبد ، وذلك من أبواب الشيطان .

قال : واللّه لا أزيد عنها ولا أنقص ، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : ((أفلح إن صدق)) ، أما قوله : كما يعلمنا السورة من القرآن ، فلا يفيد فرضيتها .

قال ابن أبي جمرة : التشبيه في تحفظ حروفه وترتيب كلماته ومنع الزيادة والنقص منه والدرس له والمحافظة عليه . قوله صلى اللّه عليه وسلم : ((إذا هم)) ، وفي رواية : ((إذا أراد أحدكم الأمر ...)) أي أن الاستخارة تقع قبل الشروع فيه ، بل قبل أن يستمكن من قلبه حتى لا يخفى عليه وجه الصواب إذا غلب ميل القلب إليه ، فيستخير لأول ما يرد على القلب ، فيظهر له ببركة الصلاة والدعاء ما هو خير .

وفي الحديث دليل على أن السنة في الاستخارة ركعتين من غير الفريضة ، فلا تجزئ الركعة الواحدة ، ولا تجزئ الفريضة ، وإنما تجزئ صلاة ركعتين ، ولكن هل يجزئ أن يصلي أكثر من ركعتين ؟ نص الحديث لا ينفي ذلك .

قال الشوكاني : فهو دال على أنها لا تضر الزيادة على الركعتين ، ومفهوم العدد في قوله : ((فليركع ركعتين)) ليس بحجة على قول الجمهور ، وفي حديث أبي أيوب الأنصاري عند ابن حبان في ((صحيحه)) والطبراني في ((الكبير)) أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : ((اكتم الخطبة ، ثم توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم صلّ ما كتب اللّه لك ، ثم احمد ربك ومجده ، ثم قل : اللهم إنك تقدر ولا أقدر ...)) الحديث ، فهذا الحديث يثبت أنه لا بأس بالزيادة عن الركعتين .

□ تستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور ، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة .

قال النووي في ((الأذكار)) : قال العلماء : تستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور ، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة ، والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب ، وبتحية المسجد وغيرها من النوافل ، ولكن نقل الشوكاني ؛ أن الهم بالأمر ينبغي أن يسبق الصلاة .

وقال القرافي : إن كان همه بالأمر قبل الشروع في الراتبة ونحوها ، ثم صلى من غير نية الاستخارة وبدا له بعد الصلاة الإتيان بدعاء الاستخارة فالظاهر حصول ذلك .

وقت الدعاء

ويقع الدعاء عقب الصلاة ؛ لقوله صلى اللّه عليه وسلم : ((ثم ليقل : اللهم ...)) والعطف بـ ((ثم)) دليل على أن التأخير لا يضر ما لم يكن الفاصل طويلاً ، أو فصل بأعمال كثيرة ، ولا يضر الفاصل خاصة إذا كان بسبب أداء أعمال هي من آداب الدعاء ؛ كالصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم .

قال شيخ الإسلام : يجوز الدعاء في صلاة الاستخارة وغيرها قبل السلام وبعده ، والدعاء قبل السلام أفضل ، فإن النبي صلى اللّه عليه وسلم أكثر دعائه كان قبل السلام ، والمصلي قبل السلام لم

ينصرف ، فهذا أحسن ، والله تعالى أعلم . (انتهى) .

□ يجوز الدعاء في صلاة الاستخارة وغيرها قبل السلام وبعده ، والدعاء قبل السلام أفضل .

قال النووي : فإن تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء . (انتهى) . ويدل على ذلك الأحاديث الواردة عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وحديث ابن مسعود ، فلم يرد فيها ذكر الصلاة .

* فائدة : قال شارح ((الطحاوية)) : فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه لا بحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا ، والساعد ساعدًا قويًا ، والمحل قابلاً والمانع مفقودًا ، حصلت به النكاية في العدو ، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير ، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح ، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ثم مانع من الإجابة ؛ لم يحصل الأثر .

والدعاء سبب شرعي لتحقق المطلوب ، فالأسباب قدرية كالأكل سبب للشبع ، والشرب سبب للري ، والجماع سبب للولد ، فالدعاء سبب لمطلوبه ، وكله ينفع بإذن الله تعالى ، فالتعلق بالأسباب شرك في التوحيد ، والإعراض عن الأسباب قدح في الشرع بالكلية ، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد الهمة للدعاء ، وهو الذي يجعل الدعاء سببًا لتحقق الخير الذي قدره ، فالله هو الذي وفق العبد للعمل ، ثم أثاب عليه ، وهو الذي وفقه للدعاء ، ثم أجابه .

قال مطرف بن عبد الله :

نظرت في هذا الأمر فوجدت مبدأه من الله وتمامه على الله ، ووجدت ملاك ذلك الدعاء ، فالدعاء سبب يدفع البلاء ، فإذا كان أقوى منه دفعه ، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه ، لكن يخففه ، فالدعاء نافع في كل حال .

فالاستخارة أخذ بجميع طرق النجاح والتوفيق ، فإن الله يعلم الخير ، فإما أن يشرح صدر الإنسان وييسر له الأسباب أو يعسرها ويصرفه عن ذلك .

وفي قوله : ((أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك)) ؛ تعليل الطلب من الله سبحانه ، وهو للاستعانة والاستعطاف وإظهار العبودية والضعف بين يدي ربه بما يكون أرجى لتحقق مقصوده وإجابة طلبه ، حيث يظهر الاستسلام بقوله : ((وتعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا أقدر)) ، فأنا أطلب الخير الذي لا يعلمه إلا أنت ولا يقدر عليه سواك ، وأنا عبدك ولا سبيل لي إلا أن ألجأ إليك ، فأنت ربي لا رب لي سواك .

وفي الحديث اعتراف بأن كل عطاء إنما هو فضل من الله سبحانه ، فإنه ليس لأحد على الله حق في نعمة ، فكل النعم في البدن أو المال أو غير ذلك يبتدئ بها عبده كالعين وإبصارها وسائر الأعضاء وأعمالها ، فهو فضل من الله لم تدفع له ثمنًا ولم تعط عنه عوضًا ، نستخدمه ونحن على الطاعة أو على المعصية ، فإن وفق العبد للحمد والشكر فذلك فضل

آخر يفتقر إلى حمد وشكر ، وهكذا فالنعم لا تنقطع .

☐ الاستخارة أخذ بجميع طرق النجاح والتوفيق ، فإن الله يعلم الخير ، فإما أن يشرح صدر الإنسان وييسر له الأسباب ، أو يعسرها ويصرفه عن ذلك .

*** توضيح :** قد يظن ظان أن في قوله : ((إن كنت تعلم)) أن ذلك فيه شك في علم الله تعالى ، وليس الأمر كذلك ، إنما يقول : إن كان الخير الذي تعلمه في كذا فاقدره لي ، وإن كان في غيره فاقدره لي واصرف عني الشر ؛ لأن الله لا يغيب عن علمه شيء .

*** الدعاء والقضاء :** إن الدعاء يدفع القضاء ، ففي الحديث عند الترمذي وابن ماجه عن ثوبان مرفوعًا : ((لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر)) ، فالاستخارة صلاة يعقبها الدعاء يرجى بها الخير يقدره رب العزة سبحانه وييسره للمستخير .

وفي الحديث : ((خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – وعاجل أمري وآجله)) ؛ فقد جمع الحديث هذه الأربعة : دين ، ومعاش ، وعاجل ، وآجل ، فهذا خير ما يسأله العبد لربه ، فمن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : ((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، والموت راحة لي من كل شر ، إنك على كل شيء قدير)) . والحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

فدعاء الاستخارة طلب لجامع الخير والبركة فيه ، وصرف الشر حتى لا يتعلق به البال ولا يطلبه وهو أكمل الحال من انصرافه عن الشر وانصراف الشر عنه ، وتقدير الخير له ورضاه به ، فإن صرف عنه الشر وبقي القلب متعلقًا به ويطلبه فلا يطيب له خاطره ، وإذا قدر له الخير ولم يرض به كان متكدر العيش ، بل واقع في الإثم لعدم رضاه ما قدر له الله مع كونه الخير له .

فالحديث طلب الأكمل من الوجوه ، وذلك الذي يليق عند الطلب من الله ، وذلك لكماله سبحانه وغناه عن خلقه ومحبته للعطاء ، فالعطاء لا ينقص مما عنده شيئًا ، فمن حسن الظن بالله أن تطلب منه خير الدنيا والآخرة ، ففي الحديث : ((إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى)) .

يقول ابن القيم في ((زاد المعاد)) : هذا الدعاء توحيد وافتقار وعبودية وتوكل وسؤال لمن بيده الخير كله الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يصرف السيئات إلا هو ، الذي إذا فتح لعبده رحمة لم يستطع أحد حبسها عنه ، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليه من التطير والتنجيم واختيار الطالع ونحوه ، فهذا الدعاء هو الطالع الميمون السعيد ، طالع أهل السعادة والتوفيق الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، لا طالع أهل الشرك والشقاء والخذلان الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر فسوف يعلمون .

فتضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه ، والإقرار بصفات كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة والإقرار بربوبيته ، وتفويض الأمر إليه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه والخروج من عهدة نفسه والتبرؤ من الحول والقوة إلاّ به ، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليه ، وإرادته لها ، وأن ذلك كله بيد وليه وفاطره وإلهه الحق .

وفي الحديث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم جاء بشرع ضمن الشفقة على الخلق وإرشادهم إلى الخير ، فاللّه أرحم بهم من أنفسهم ، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فالخير يسوقه شرع اللّه على يدي نبيه صلى اللّه عليه وسلم .

وفي الحديث عجز العبد وضعفه وجهله ، وأن القوة من اللّه سبحانه ، وكذلك العلم ، فمن تمام العبودية أن يتبرأ العبد من الحول والقوة ، ويرد ذلك للّه رب العالمين ، فيسأل اللّه مقدمًا فقره بين يديه وشدة حاجته إلى ربه في دقيق أمره وجليله ، فيسأله الخير تعليمًا وتقديرًا وإرضاءً ، ويسأله عن الشر صرفًا وإبعادًا ، فيلزم العبودية باستخارة واتباع سنة النبي صلى اللّه عليه وسلم والاقتداء به ، فيسلم إذا وقع القدر راضيًا بقضاء اللّه لعجزه عن معرفة الخير وثقته في كمال علم ربه وقدرته ، كما قال سبحانه : ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل اللّه فيه خيرًا كثيرًا ﴾ [النساء : ١٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

والحديث دال على أنه لا خالق إلا اللّه من خير أو شر لا يخلق سواه ، ولا يقدر الأمر ولا يصرفه إلا اللّه ، لذا فإنه لا يدعى في الخير ولا في الشر سواه ، وهو الذي يجيب عبده إذا دعاه .

هل تتكرر الاستخارة ؟

ليس في تكرار الاستخارة حديث يصح ، وإن كان الأصل جواز ذلك لعموم الأمر بالاستخارة ، ولأن النبي صلى اللّه عليه وسلم كان إذا دعا دعا ثلاثًا ، أما ما رواه ابن السني من الحديث مرفوعًا : ((يا أنس إذا هممت بالأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه)) ؛ فقال النووي في ((الأذكار)) : إسناده غريب ، وفيه من لا أعرفهم ، ونقل العيني في ((العمدة)) عن شيخه زين الدين قوله : بعضهم معروف بالضعف الشديد ، بل فيه من يتهم بالوضع ، فالحديث ساقط لا حجة فيه .

ومن العموم الذي يستدل به على جواز تكرار الاستخارة ما جاء في حديث أبي هريرة عند الشيخان : ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت فلم يستجب لي ، ويدع الدعاء)) .

ماذا يقرأ من القرآن ؟

قال النووي : ويقرأ في الأولى بعد ((الفاتحة)) : ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ [الكافرون : ١] ، وفي الثانية : ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ [الإخلاص : ١] ، وعلل ذلك بقوله : ناسب الإتيان بهما في صلاة يراد منها إخلاص الرغبة وصدق التعويض وإظهار العجز ، واستحسن بعض أهل العلم قراءة : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ [القصص : ٦٨] ، وفي الثانية : ﴿ وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ، ولا دليل

على تخصيص شيء من القرآن بالقراءة ، بل الأمر فيها على الإطلاق ، فيقرأ ما يقرأ في غيرها من النوافل .

هل تصلى الاستخارة في أوقات النهي ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : النهي عن الصلاة في أوقات النهي من باب سد الذرائع لئلا يتشبه بالمشركين فيفضي إلى الشرك وما كان منهيًّا عنه لسد الذريعة لا لأنه مفسدة في نفسه ، فإنه يشرع إذا كان فيه مصلحة راجحة ولا تفوت المصلحة لغير مفسدة راجحة ، والصلاة للّه فيه ليس فيها مفسدة ، بل هي ذريعة إلى مفسدة ، فإذا تعذرت المصلحة إلا بذريعة شرعت واكتفي بها إذا لم يكن هناك مصلحة وهو التطوع المطلق ، فإنه ليس في المنع منه مفسدة ولا تفويت مصلحة لإمكان فعله في سائر الأوقات (حتى قال) : وذوات الأسباب كلها تفوت إذا أخرت عن وقت النهي ، مثل سجود التلاوة ، وتحية المسجد ، وصلاة الكسوف ، ومثل الصلاة عقب الطهارة ، كما في حديث بلال ، وكذلك صلاة الاستخارة إذا كان الذي يستخير له يفوت إذا أخرت الصلاة(١) . (انتهى) .

وذكر في ((الموسوعة الفقهية)) : أما إذا كانت الاستخارة بالصلاة والدعاء فالمذاهب الأربعة تمنعها في أوقات الكراهة ، نص المالكية والشافعية صراحة على المنع ، ثم ساق أقوالهم ، وبتدبر كلام شيخ الإسلام يتضح أنه إذا كان يفوت وقتها إن أخرت عن وقت النهي جازت للأدلة التي ذكرها . واللّه أعلم .

فإذا أدى العبد الاستخارة فإنه ينبغي له أن يخلي نفسه من الميل والهوى ما استطاع لذلك سبيلاً ؛ ولذا فإنه ينبغي على المستخير أن يشرع في استخارته وهو خالي الذهن غير عازم على أمر معين حتى لا يشوش ميله على سلوكه بعد الاستخارة ، ولذا فإنك تجد من أهل العلم من اعتبر انشراح الصدر من علامات قبول الاستخارة ، ومنهم من لم يشترطه ، وهو الأوفق ؛ وذلك لأن هذا الانشراح لم يرد في حديث صحيح ، إنما ورد في حديث أنس السابق الإشارة إلى شدة ضعفه ، فلا يصلح دليلاً ، إنما الأحاديث الصحيحة جاءت تطلب أن يقدر اللّه له الخير حيث كان ، وذلك بأن ييسر اللّه المقادير لتحقق الخير ، وذلك يعني أن يسلك نحو هدفه ما يسره اللّه من سبل ، ويخشى أن يكون تعليقها على راحة النفس تعلق بما للشيطان فيه أثر ؛ لأن النفس يميلها الشيطان ويغويها ، خاصة إذا بدأ العبد الاستخارة والهوى متغلب عليه .

هذا والحديث يسأل فيه ربه ((ثم رضني به)) ، فيكون الرضا يعقب التيسير ، وليس في الحديث أنه سابق عليه ، ومن الناس من يعلق نتيجة الاستخارة على رؤيا يراها في نومه ، وليس في ذلك من دليل ، بل كثيرًا ما يشتبه على الناس الحلم الذي هو من الشيطان ، والذي هو من حديث النفس مع الرؤيا فيختلط الأمر عليه ، وتعليق الاستخارة على مثل ذلك استسلام للشيطان ووقوع في حيله ، ولكن على المستخير أن يسلك ولا يتعجل الإجابة ؛ لأنه أسلم الخيرة للّه تعالى .

وينبغي على المسلم أن يسترشد بآراء الناصحين من أهل الخبرة والإيمان من يعلم النصيحة والشفقة منه ويثق بدينه ومعرفته ؛ لعموم قوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

هذا وليعلم العبد أن الاستخارة ليست طلب معرفة لعلم الغيب الذي ستره الله ، إنما هي طلب تيسير المقدور من عنده سبحانه ، أما راحة النفس ورؤيا النوم فهي تعلق بأمر غيب كشف للعبد ، وذلك من أبواب الشيطان ، والاستخارة جاءت إظهارًا للعبودية ، ومن تمامها تسليم العبد بأن علم الغيب لله سبحانه ، وهذا هو الذي أوقع بعض الناس في الضلال والبدع .

من صور البدع في الاستخارة

قال في ((موسوعة الإجماع)) : وبعض الناس قد يستفتح ويستطلع الغيب من المصحف أو الرمل أو القرعة ، وهذا لا يجوز لحرمته .

قال الطرطوشي وأبو الحسن المغربي وابن العربي : هو من الأزلام ؛ لأنه ليس لأحد أن يتعرض للغيب ويطلبه ؛ لأن الله قد رفعه بعد نبيه صلى الله عليه وسلم إلا في الرؤيا - أقول : والرؤيا إنما بقي منها المبشرات - لا أن يطلب بها علم غيب يريد كشفه .

وقال القشيري في ((السنن والمبتدعات)) : ولقد أعرضوا ويا للأسف عن هذا العلم اللطيف السهل السماوي في الاستخارة بما سماه الله فسقًا في قوله : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسقٌ ﴾ [المائدة : ٣] ، وسماه الله فسقًا ؛ لأنه تعرض لدعوى علم الغيب وضرب من الكهانة ، فتراهم يستخيرون عند ضراب الودع والرمالين الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم : ((من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم)) ، وتارة تراهم يستخيرون بالسبحة يهمهمون عليها ، ثم يعدون قائلين : الله . محمد . علي . أبو جهل ، فسبحان الله ! ما أسخف عقولهم ! وما أشد حمقهم وجهلهم إذ يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير .

ويقول الساعاتي في ((بلوغ الأماني)) : وقد ابتدع الناس عمل الاستخارة بأنواع شتى لم يرد شيء منها في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، ولم يقل به أحد من علماء السلف ولا الخلف ، وإنما هي بدع شيطانية سرت واشتهرت بين عامة الناس ، فمن تلك الأنواع ما يقال له : استخارة على السبحة ، ومنها استخارة على كأس القهوة ، ومنها استخارة لعبة الورق المشهورة باسم (الكوتشينة) ، ومنها الاستخارة بالمصحف ، ومنها استخارة التبييت . إلى غير ذلك من الأمور التي ليس لها أصل في الدين ، فتراهم إذا أهمهم أمر من أمور الدنيا أسرعوا إلى من يتوسمون فيه الصلاح ، أو من يحفظ القرآن ، أو من يدعي علم الغيب ، ويسألونه عمل الاستخارة ، فيوافقهم على اعتقادهم ويعمل لهم الاستخارة ، ويخبرهم بالنتيجة في المستقبل رجمًا بالغيب ، ولا يرشدهم إلى الاستخارة الشرعية . (انتهى) .

تلك جملة من أحكام الاستخارة وأقوال العلماء وتفصيل السنة من البدعة ، فالزم الشرع تكن من الفائزين في الدنيا والآخرة ، وإياك وطريق الهمج الرعاع أتباع كل ناعق ، والله يحفظنا وإياكم وسائر المسلمين من البدع والمعاصي . (آمين) . والله من وراء القصد .

---

(١) من ((مجموع الفتاوى)) (جـ٢٣) وراجع الفصل من (ص٢١٠-٢١٦) ، فهو فصل بديع .

لقاء التوحيد بمكة المكرمة :

مع فضيلة د/ محمد بن سعد الشويعر

مستشار مكتب سماحة مفتي المملكة العربية السعودية

ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

- **اليهود هم الأقدر إعلامًا ، حيث يعتمد إعلامهم على الكذب وتجسيم الأمور .**
- **أعداء الإسلام يحاولون التنفير وتشويه الصورة ، وعلى المسلمين أن ينشروا معتقدهم ، وأن يتميزوا بمنهج صادق وواضح .**
- **الكثير من المتعالمين يُجَهِّلون غيرهم ، ويفسرون الأمور بما يتفق مع أهوائهم في أمور الدين .**
- **أمر الردة ليس أمرًا هينًا ، تلوكه الألسنة ، فيجب ألا يطلق جزافًا .**

أجرى الحوار / جمال سعد حاتم

الإعلام سلاح ذو حدين

●● الإعلام في هذا العصر له دور رئيسي في تشكل آراء الناس ، ويدخل أيضًا في صياغة معتقداتهم ، فكيف يقوم الإعلام بنشر المعتقد الصحيح ، خصوصًا وأنه يلاحظ عزوف كثير من العلماء من أهل السنة والجماعة وبعض طلبة العلم عن المشاركة الفعالة في الوسائل الإعلامية ، وأتيحت لذلك المجالات أمام أصحاب العقائد والمناهج الأخرى ؟

● ج : الإعلام سلاح ذو حدّين ، وفي بلاد الغرب يلاحظ أن اليهود هم الأقدر إعلامًا ، حيث يعتمد إعلامهم

في مكة المكرمة .. حيث تصغى الآذان لكلمات العلماء وتوجيهاتهم . وفي مكتب سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز (مفتي عام المملكة السعودية) كان لنا هذا اللقاء مع فضيلة الدكتور / محمد بن سعد الشويعر (مستشار سماحة المفتي . ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية) . ليحدثنا عن الكثير مما يدور في أذهاننا : عن الإعلام وخطورته وسيطرة اليهود على أجهزة الإعلام . عن ضرورة وجود إعلام إسلامي قوي ، كي لا نترك الساحة لليهود . وعن معتقد أهل السنة والجماعة وخاصة مسألة الولاء والبراء والتكفير والسمع والطاعة . وعن طلبة العلم . والتقليد الأعمى عند الكثير من المسلمين لكل ما هو غربي . وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن متابعة أهل الكتاب ومشابهة الكفار . مما يبرهن على أن للمسلمين تميزا عن غيرهم . ووجه فضيلته النصيحة للشباب وطلبة العلم بالحرص على كتاب الله . عز وجل . وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة : دراسة وتفهما . وتطبيقا . وعملا . كما حذر فضيلته بعض طلبة العلم الذين يتساهلون في إطلاق لفظ الردة على المسلم . قائلا : إن أمر الردة ليس أمرا هينا حتى تلوكه الألسنة فيجب ألا يطلق جزافا . وأن هذا الأمر قد وضعت له ضوابط مستمدة من النصوص الشرعية

على الكذب وتجسيم الأمور ، ومعلوم أن من سبق لأمر حظي بالاهتمام ، ولكن كما يقال : البقاء للأصلح ، والمسلمون لكي ينشروا معتقدهم يجب أن يتميزوا بمنهج واضح وثابت ؛ الصدق ، والوضوح .. متخذين ذلك من منهج دينهم ، فهو صادق وواضح ، ولذا سمى اللّه الكاذبين منافقين ، وجعل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من علامات النفاق ؛ إذا حدّث كذب . فالإعلام المرتكز على الكذب سينكشف ويملّه الناس ، ومثلما سار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون من بعده على منهج إعلامي صادق ، ودعوة مخلصة . فكذلك نحن في هذا الزمان ، ومن يأتي بعدنا يجب أن نترسم خطاهم ، وننهج نهجهم ، ونستمد من بُعْد نظرهم في الأمور التي تعرض ، ولسنا بأفهم للدين منهم ، ولا بأقدر في تدبير الأمور ، وإن عاب هذا المنهج من بني جلدتنا ويتكلم بلساننا من عاب ، لكن ردنا عليه يبرز من هذا القول الكريم : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن اللّه وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ [النساء : ٧٩] ، وهي أمانة على العلماء والعارفين أن تراعى ، وقاعدة يجب أن تؤصل . رغم أن الأعداء سيحاولون التنفير وتشويه الصورة والتفرقة .

خطورة مخالفة الكتاب والسنة

●● يلاحظ أنه من يقوم بتبيين وتوضيح معتقد أهل السنة والجماعة في مسألة الولاء والبراء والتكفير والسمع والطاعة ، يعاني من مواقف بعض العاملين باسم الإسلام ، بل قد يتعرض لظلمهم ، فما توجيه فضيلتكم في ذلك ؟

● ج : المؤسف أن كثيرًا من المتعالمين يجهّلون غيرهم ، ويفسرون الأمور بما يتفق مع أهوائهم في هذه الأمور ، والأمر ليس بالهين ، وكأن هؤلاء المتعالمين جاءوا بشيء جديد لم يعرفه سلف هذه الأمة في عصورها الأولى المفضلة ، ذلك أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أخبر بأن من كفّر مسلمًا فقد كفر ، وبأن من قال لآخر : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما .

والسمع والطاعة تكررت كثيرًا في كتاب اللّه ، وأوضحتها سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بما لا يحتاج إلى مزيد أو اجتهاد ، فمن حاد عن هذا المفهوم بشيء جديد فقد جانب الصواب وأضلّ غيره ، ونخشى على كثير ممن ينتهجون منهجًا في هذه الأمور يخالف ما جاء في مصدري التشريع ، وما فنده علماء الإسلام الموثوق بهم ، أن يكون ممن حذّر منهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من علماء آخر الزمان .

نصيحة للشباب وطلبة العلم

●● ما هي نصيحتكم للشباب ، وخاصة شباب الصحوة الإسلامية وطلبة العلم ؟

● ج : أما النصيحة لنفسي أولاً وللشباب وطلبة العلم ؛ فهي الحرص على كتاب اللّه ، عز وجل ، وسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الصحيحة ، دراسة وتفهمًا ، وتطبيقًا وعملاً ، ولقد طلب الصحابة من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الوصية في حجة الوداع ، فقال لهم : ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ؛ كتاب اللّه ، وسنتي)) .

وكتاب اللّه ليس المقصود تزيين البيوت بلوحاته ، أو اختيار النسخ الثمينة النفيسة مظهرًا ، ولكن المقصود تعظيمه في القلوب ، وفهم دلالاته ، وتطبيق محتوياته والتعبد به ، حتى لا نقع في هذا العقاب : ﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠] ، ذلك أن كتاب اللّه شامل لأمور ؛ الدين والدنيا ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، من تمسك به هُدي وعصم ، ومن ابتعد عنه ضل وغوى .

خطورة التساهل في أمر الردة

●● يلاحظ على بعض طلبة العلم التساهل في إطلاق لفظ الردة على المسلم، بل قد يطالب هذا البعض بانتداب من يرون لإقامة حدّ الردة في المحكوم بردته عندهم، إذا لم يقم به السلطان؟

● ج : إن أمر الردة ليس أمرًا هينًا، تلوكه الألسنة، فيجب ألا يطلق جزافًا، وكتب الفقه عند المسلمين اهتمت بهذا الأمر، ووضعت له ضوابط مستمدة من النصوص الشرعية، وقد ألّف بعض العلماء كتبًا مستقاة من ذلك المنهج في أحكام الردة، وعلى كل مسلم أن يحفظ نفسه عن الزلل، وألاّ يقول بغير علم، وأن يراقب اللّه في السر والعلن، ويترك الأمر لمن خولهم اللّه ذلك، بما أخذ عليهم من ميثاق التبليغ بعد القدرة العلمية.

وليس للناس أن يقوموا بتنفيذ حدّ الردة من أنفسهم، إذْ ذلك للسلطان، والماورديّ، رحمه اللّه، في كتابه ((الأحكام السلطانية))، وابن القيم في ((السياسة الشرعية))، وغيرهما لا يرون أن يتجرأ على تنفيذ الأحكام غير السلطان الذي حمّله اللّه هذه الأمانة، حتى لا تنتشر الفوضى في الأمة وتضيع الدماء بالأهواء، والسلطان لا يقيم هذا الحدّ إلا بعد صدور حكم شرعي بثبوت الردة، وعدم التوبة.

تميز المسلمين عن غيرهم

●● ولع المسلمون بتقليد كل ما هو غربي، ونسوا أنهم أصحاب رسالة، فضلاً عن كونهم أمة يجب أن تكون متميزة، فما أهمية هذا القول بالتميز في اتخاذ المسلمين بوسائل النهوض من كبوتهم؟

● ج : نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن متابعة أهل الكتاب ومشابهة الكفار، مما يبرهن على أن للمسلمين تميزًا عن غيرهم؛ ولذا فقد مدح اللّه أمة الإسلام بأنهم أمة وسط بين الأمم، فلا غلوّ مع الجهل كما هي حال النصارى الذين وصفهم اللّه في سورة ((الفاتحة)) بالضلال، وفي سورة ((الحديد)) بالرهبانية التي ابتدعوها ولم تُكتب عليهم، فما رعوها حق رعايتها.

ولا معاندة مع العلم كما هي حال اليهود الذين وصفهم اللّه في سورة ((الفاتحة)) بالمغضوب عليهم؛ لأنّهم عصوا اللّه عن علم ومعرفة، وفي أماكن أخرى من كتاب اللّه، بأنهم يعرفون الحق الذي جاء به محمد صلى اللّه عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم، ولكن عاندوا وكابروا، كما قتلوا أنبياء اللّه وحرّفوا الكلم

عن مواضعه حسبما تصف أهواؤهم ، واشتروا بعهد اللّه ثمنًا قليلاً ، وتحايلوا على شرع اللّه ، وأمة الإسلام التي أخبر صلى اللّه عليه وسلم عن فضلها وخصائصها بين الأمم يجب أن يرعوا هذا الأمر ويهتموا به ؛ لأن سعادتهم وعزهم فيه ، كما قال عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه : نحن قوم أعزنا اللّه بالإسلام ، فمتى ابتغينا العزّ بغيره أذلنا اللّه .

وحسن الاتباع ، مع الاهتمام بالتطبيق لشرائع اللّه ، هي من الخصال المميزة ، ويجب أن تنهانا صلاتنا عن الفحشاء والمنكر ، وأن نتقي اللّه حق تقاته ، بمراقبة النفس أولاً ومحاسبتها ، لأن تعاليم الإسلام كلها وشرائعه واضحة جليّة ، والعلماء عليهم دور الإبانة وعدم الكتمان ، ومن لا يعلم عليه أن يسأل أهل الذكر وهم العلماء الموثوق بهم ، والجميع عليهم أن يبتعدوا عن الجهال والعلماء المضلّلين الذي يفتون بغير ما أنزل فَيَضلُّون ويُضلُّون ، نسأل اللّه السلامة والعافية .

ويحضرني في هذه المناسبة حكاية القائد الروماني الذي جمع فلوله في أنطاكية بعد اندحارهم من جيوش المسلمين ، وجمع كبار جيشه وقال لهم : ما بال هؤلاء القوم ونحن أكثر منهم عدة وعتادًا ، وأقدر على ممارسة الحروب يغلبوننا ولم ننتصر عليهم ولا مرة ، فأجابه شيخ من قواده قائلاً : أتأذن لي بالجواب ؟ قال : نعم قل ، قال : لأنهم يطيعون اللّه ونحن نعصيه ، ويحبون الموت ونحن نكرهه ، ويصلون بالليل ونحن نجاهر فيه بالمعاصي ، ولا يمكن أن نتغلّب عليهم مهما أوتينا من قوة ، قال : وهل سننتصر عليهم مستقبلاً ؟ قال : نعم ، ففرح وقال : متى ؟ قال : إذا تساووا معنا في معصية اللّه ، وأصبح مطلبهم الدنيا والشهرة ، ذلك الوقت يسلطنا اللّه عليهم ونغلبهم .

ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عندما صالح المشركين في الحديبية ، تأثر من ذلك بعض الصحابة ، وحاولوا معصية رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فكان في هذا الصلح خير للمسلمين ونصر للإسلام .

نسأل اللّه أن يُبصِّر المسلمين بفهم دينهم فهمًا حقيقيًّا ، وأن يرزقهم حسن الاتباع والتقوى ، واللّه يقول : ﴿ واتقوا اللّه ويعلمكم اللّه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، ويقول سبحانه : ﴿ ومن يتق اللّه يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ۞ ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه إن اللّه بالغ أمره قد جعل اللّه لكل شيء قدرًا ﴾ [الطلاق : ٢،٣] ، والحمد للّه أولاً وأخرًا .

إعداد / جمال سعد حاتم

رسالة إلي كل محجبة

كاتب هذه القصيدة لم يذكر اسمه

أختاه يا بنت الإسلام تحشمي   لا ترفعي عنك الخمار فتندمي
هذا الخمار يزيدُ وهجك بهجة   وحلاوة العينين أن تتلثمي
صوني جمالك إن أردت كرامة   كيلاَ يصول عليك أدنى ضيغم
لا تعرضي عن هدي ربك ساعة   عُضي عليه مدى الحياة لتغنمي
ما كان ربك جائرًا في شرعه   فاستمسكي بعُراه حتى تسلمي
ودعي هراء القائلين سفاهة   إن التّقدُّم في السفور الأعجمي
إياك إياك الخداع بقولهم   سمراء يا ذات الجمال تقدَّمي
إن الذين تبرءوا عن دينهم   فهم يبيعون العفاف بدرهم
حلل التبرج إن أردت رخيصة   أمَّا العفاف فدونه سفك الدَّمِ
بنت الإسلام ما أرى لك شيمة   هذا التبرج يا فتاة تكلَّمي
حسناء يا ذات الدَّلال فإنّي   أخشى عليك من الخبيث المجرم
لا تعرضي هذا الجمال على الورى   إلاّ لزوج أو قريب مُحرمِ
لا ترسلي الشعر الحرير مُرجلاً   فالنّاس حولك كالذئابِ الحُومِ
لا تمنحي المستشرقين تبسُّمًا إلا   ابتسامة كاشرٍ مُتجهمِ
أنا لا أحبِّذ أن أراك طليقةً   شرقًا وغربًا في الجنوب ومشأمي
أنا لا أريد بأن أراك جهولةً   إنَّ الجَهالةَ مُرَّةٌ كالعَلْقمِ
فتعلّمي وتثقفي وتنوري   والحق يا أختاهُ أن تتعلّمي
لكنني أمسي وأصبح قائلاً   أختاهُ يا بنت الإسلامِ تحشمي

خير الخيرين وشر الشرين

بقلم

الشيخ / أسامة علي سليمان

(عضو إدارة الدعوة ورئيس فرع فاقوس)

* * *

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وبعد :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه اللّه : ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر ، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين[1] .

ويقول تلميذه ابن القيم ، رحمه اللّه : إن الشريعة مبناها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة ، وإن أدخلت فيها بالتأويل[2] .

ويضيف الشاطبي ، رحمه اللّه : إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا[3] .

فحيثما المصلحة ثَمَّ شرع اللّه ، وأحكام الشريعة كلها مبناها على جلب المصالح ودفع المفاسد ، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، وقد تكون المصلحة في ترك الإنكار ، ومن هنا فإن موضوع المصالح والمفاسد واعتبارها من أهم الموضوعات التي ينبغي أن تدرس بعناية فائقة ، فكم من فتن حدثت بسبب تجاهل تلك القاعدة ، وكم من أناس يتخبطون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، وكم من قلوب نفرت بسبب جهل الكثير بتلك القاعدة ؛ ولذلك سنبين بحول اللّه وتوفيقه الأدلة الشرعية على اعتبار المصالح والمفاسد من كتاب اللّه وسنة نبيه صلى اللّه عليه وسلم وفهم سلف الأمة لتلك القاعدة ، واللّه المستعان ومنه المدد وعليه التوكل .

* أولاً الأدلة من كتاب اللّه عز وجل :

●● يقول سبحانه : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل اللّه وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند اللّه والفتنة أكبر من القتل ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، ففي تلك الآيات يبين سبحانه أن مفسدة صد المؤمنين عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه والصد عن سبيل اللّه أعظم من مفسدة القتال في الأشهر الحرم ، وهنا تقدم أدنى المفسدتين ، فعند تعارض المفاسد يرتكب أقلها إثمًا ، ارتكابًا لأخف الضررين .

ولذلك لما مر شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه اللّه ، وبعض أصحابه في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فلما أنكر بعض أصحابه على هؤلاء أنكر عليهم شيخ الإسلام وقال : إنما حرم اللّه الخمر ؛ لأنها تصد عن ذكر اللّه وعن الصلاة ، وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس ونهب الأموال وسبي الذرية فدعهم .

كذلك كان حال علي بن أبي طالب ، رضي اللّه عنه ، مع المرأة التي كانت تحمل خطاب حاطب بن أبي بلتعة إلى مشركي قريش عندما أدركها وخيرها بين أن يجردها من ثيابها أو أن تخرج الخطاب ، فالنظر إلى عورتها مفسدة ، ولكن وصول الخطاب إلى المشركين مفسدة أكبر بكثير .

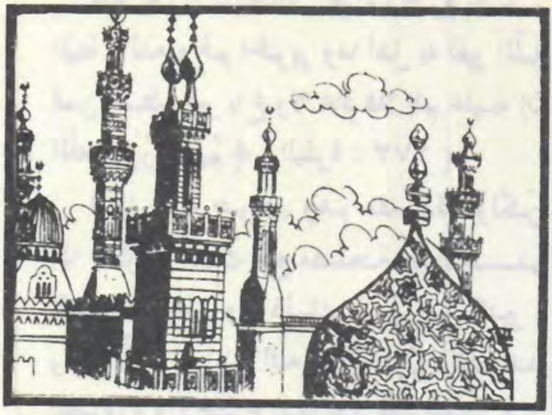

●● يقول سبحانه : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون اللّه فيسبوا اللّه عدوًا بغير علمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، فمما لا شك فيه أن تسفيه وتحقير الآلهة التي تعبد من دون اللّه مصلحة ، ولكن في حال ضعف المسلمين كان المقابل لذلك هو سب اللّه عز وجل ، فنهاهم اللّه عن المصلحة من أجل دفع المفسدة ، ولذلك قد تترك المصلحة من أجل تفويت مفسدة أكبر .

أما إذا كانت المصلحة أكبر من المفسدة تقدم حينئذ ، كقتال المشركين وإزهاق أرواحهم وإسالة دمائهم ، فهذه المفسدة لا تقاوم مصلحة إعلاء كلمة اللّه والتمكين لدين اللّه في الأرض : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين للّه ﴾ [البقرة : ١٩٣] .

●● يقول سبحانه : ﴿ إنما حَرَّمَ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير اللّه فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه إنّ اللّه غفورٌ رحيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

فأكل الميتة حرام ، وهو مفسدة ، ولكن إذا تعارض ذلك مع مصلحة حياة المسلم تقدم المصلحة ، وفي ذلك يقول ابن كثير ، رحمه اللّه : ثم أباح اللّه تعالى تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج إليها عند فقد غيرها من الأطعمة .

✱ ثانيًا أدلة السنة المباركة :

●● ما ثبت عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال لعائشة ، رضي اللّه عنها : « لولا أن قومك حديث عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين » ، فلقد راعى النبي صلى اللّه عليه وسلم فقه الواقع وترك المصلحة من أجل تفويت مفسدة أعظم ، ولذلك فإن ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في منكر أشد هو شرع اللّه عز وجل ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

●● ما حدث من عبد اللّه بن أُبي ابن سلول عندما قال كلمة الكفر : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ [المنافقون : ٨] ، يقصد بذلك الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، ومع ذلك نهى النبي صلى اللّه عليه وسلم الصحابة عن قتله ؛ حتى لا يقال : إن محمدًا يقتل أصحابه .

وهنا مصلحة قتل رأس النفاق يقابلها مفسدة نفور الناس من الإسلام ، وإشاعة قتل الرسول صلى اللّه عليه وسلم لأصحابه ، فترَكت المصلحة من أجل المفسدة ؛ لأنّها أعظم ، وكذلك ما حدث مع ذي الخويصرة التميمي الذي يمرق من الدين هو وأصحابه كما يمرق السهم من الرمية .

●● ما رواه البخاري عن عبد اللّه بن مسعود ، رضي اللّه عنه ؛ أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم كان يتخول الصحابة بالموعظة في الأيام مخافة السآمة ، فمفسدة النفور والفتور قدمت على مصلحة كثرة الوعظ وإلقاء المواعظ ، ولذلك كان ابن مسعود لا يعظ الناس إلا كل خميس مخافة السآمة ، وكذلك صلاته ، رضي اللّه عنه ، خلف عثمان ، رضي اللّه عنه ، في منى متمًّا مع أن القصر أفضل ، ففعل المفضول وترك الفاضل لدفع مفسدة التفرق والاختلاف .

●● ذكر شيخ الإسلام أن المفضول قد يتقدم على الفاضل أحيانًا لتأليف القلوب ، فقال : ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك المستحبات ؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل المستحبات .

ومن ذلك الجهر(٤) بالبسملة في الصلاة ، وصلاة الوتر وصلاً إذا كان المأمومون يفضلون ذلك تأليفًا لقلوبهم ودرءًا للفتنة ،

فأين ذلك من هؤلاء الذين ينفرون الناس في رمضان من صلاة القيام بالإطالة بهم ، رغم عدم قبولهم لتلك الإطالة ، فهل تنفير الناس من الصلاة هو الأولى في نظر هؤلاء ؟!

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام أيضًا : وإذا اقتدى المأموم بمن يقنت في الفجر أو الوتر قنت معه سواء قنت قبل الركوع أم بعده ، وإن كان الإمام يرى استحباب شيء والمأمومون لا يستحبونه ، فتركه لأجل الاتفاق والائتلاف كان قد أحسن(٥) .

ومن ذلك أيضًا قول العز بن عبد السلام في « قواعد الأحكام » : إذا تفاوتت رتب الفسق في حق الأئمة قدمنا أقلهم فسقًا ، وكذلك مسألة الهجر لأصحاب المعاصي ، حيث تختلف باختلاف الهاجرين ، فقد يكون الهجر فيه مفسدة للبعض ومنفعة للبعض الآخر ؛ فالعالم تارة يأمر وتارة ينهى وتارة يبيح وتارة يسكت حسب أحوال المفاسد والمصالح والترجيح عند التعارض ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، وكان بالكعبة وبها الأصنام ، وذلك في مرحلة ، وفي مرحلة أخرى يغير بقوة ويحطم الأصنام ، ويتساهل مع بعض الأشخاص ، ويمنع البعض ، ويخطئ من يظن أن ذلك تساهلاً وتضييعًا لشرع اللَّه ، فذلك من قبيل سوء فهمه وعدم إدراكه وقلة علمه .

وبعد ذلك العرض ؛ هل أدرك هؤلاء الذين يشيعون الفوضى في الأمة بقتل الأبرياء وتكفير العصاة واتهام العلماء أن نظرهم قاصر وأنهم طلاب حق ضلوا الطريق ، وأن خبرتهم في الدعوة إلى اللَّه مع قلة علمهم بشرع اللَّه سبب فسادًا عظيمًا في الأمة من تفريق جمعها وتشتيت هدفها وهم يصدون عن سبيل اللَّه ، وإن ادعوا أنهم دعاة إلى دعوته ودينه وإن أطالوا السجود والركوع والقيام ، فالخوارج كانوا أكثر صلاة وعبادة ، ومع ذلك يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

واللَّه من وراء القصد .

* * *

---

(١) « مجموع الفتاوى » : (٥٤/٢٠) .
(٢) « إعلام الموقعين » : (٣/٣) ط دار الجيل .
(٣) « الموافقات » : (٦/٢) .
(٤) قال شيخ الإسلام في نفس المصدر - القسم الثاني ما اتفق العلماء على أنه إذ فعل كلا الأمرين كانت عبادته صحيحة - من هذا الباب . فإنهم متفقون على أن من جهر بالبسملة صحت صلاته ، ومن خافت صحت صلاته ، وكذلك القنوت في الوتر ، وإنما تنازعوا في وجوب قراءة البسملة .. وجمهورهم على أن قراءتها لا تجب وتنازعوا أيضًا في استحباب قراءتها وجمهورهم على أن قراءتها مستحبة .
(٥) « مجموع الفتاوى » : (٢٦٧/٢٢) .

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها

فضيلة الشيخ
أبو اسحاق الحوينى

■ يسأل القارئ : عبد الله محمد - القوصية - أسيوط - عن درجة هذه الأحاديث :

١- لا يدخل أحدُ الجنة إلا بجواز مرور . قيل : يا رسول الله وما هو ؟ قال : ((بسم الله الرحمن الرحيم)) ؟

٢- أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم عقَّ عن الحسن كبشًا وعن الحسين كبشًا ، مع أننا نعرف أنه عقَّ عنهما كبشين كبشين ، فأيها أصحُّ ؟

٣- ((أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا والآخرة)) ؟

٤- ((أمانُ العبد جائزٌ)) ؟

□ والجواب بعون الملك الوهاب :

■ **أما الحديث الأول** : ((لا يدخل أحدٌ الجنة ...)) ؛ فهو منكرٌ .

أخرجه ابنُ عدي في ((الكامل)) (١/٣٣٨) ، وابنُ الأعرابي في ((معجمه)) (١١٩١) ، والطبرانيُّ في ((الكبير)) (ج٦/ رقم ٦١٩١) ، وفي ((الأوسط)) (٢٩٨٧) ، وتمام الرازي في ((الفوائد)) (١٧٧٠- ترتيبه) ، وأبو يعلى الخليلي في ((الإرشاد)) (١/٤٤٣) ، والخطيبُ في ((تاريخه)) (٥/٤-٥ و٧/٩٥) ، وابن الجوزي في ((الواهيات)) (١٥٤٧) من طريق إسحاق بن إبراهيم الدَّبري ، نا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار ، عن سلمان الفارسي مرفوعًا : ((لا يدخلُ أحدٌ الجنة ، إلاَّ بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتابٌ من رب العالمين لفلان بن فلان ، أدخلوه جنةَ عالية ، قطوفها دانية)) .

وأورده ابنُ عدي في ترجمة (الدَّبري) إشارةَ منه إلى أنه علةُ الحديث ، وقد قال الخليلي : تفرَّد به عبد الرزاق ، عن الثوري ، والدَّبري به مشهورٌ ، ولم يتفرَّد به الدَّبري ، فتابعه محمد بن علي بن النجار الصنعاني ، قال : ثنا عبد الرزاق بسنده سواء . أخرجه أبو يعلى الخليلي في ((الإرشاد)) (١/٤٢٤) ، وتمام الرازي (١٧٧١- ترتيبه) ، فتخلَّص منه الدَّبري .

وعلّةُ الحديث عندي من عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي ، فقد تكلّم أهلُ العلم في حفظه ، وقد وجدتُ له طريقًا آخر . أخرجه ابنُ الجوزي في ((الواهيات)) (١٥٤٨) ، والضياء المقدسي في ((صفة الجنة)) – كما في ((تفسير ابن كثير)) (٨/٢٤٢) – من طريق محمد بن خشام ، عن العباس بن زياد البلخي ، عن سعدان بن سعد الحكمي ، عن سليمان التيميّ ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان مرفوعًا : ((إن اللّه يعطي المؤمن جوازًا على الصراط : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من العزيز الحكيم ، لفلان بن فلان ، أدخلوه جنةً عالية ، قطوفُها دانية)) .

قال ابنُ الجوزي : (هذا حديثٌ لا يصحّ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، قال الدارقطنيُّ : تفرّد به سعدان عن التيمي ، قال ابن الجوزي : سعدان مجهولٌ ، وكذلك محمد بن خشام ، وسبق ابن الجوزي أبو حاتم الرازي إلى تجهيل سعدان هذا ، كما في ((الجرح والتعديل)) (٢/١/٢٩٠) .

■ أما الحديث الثاني : ((أن النبي صلى اللّه عليه وسلم عقّ ...)) ؛ فأخرجه أبو داود (٢٨٤١) ، والحربيُّ في ((الغريب)) (١/٤٢) ، وابن عبد البر في ((التمهيد)) (٤/٣١٤) ، وابن الأعرابي في ((معجمه)) (ج٩/ق١٦٩/١-٢) ، والطحاويُّ في ((المشكل)) (١/٤٥٧) ، والدولابي في ((الذرية الطاهرة)) (١٠٥) ، والطبرانيُّ في ((الكبير)) (ج١١/ رقم ١١٨٥٦) ، وأبو نعيم في ((أخبار أصبهان)) (٢/١٥١) ، والبيهقيُّ (٩/٢٩٩) ، وابنُ حزم في ((المحلى)) (٧/٥٣٠) من طريق عبد الوارث بن سعيد ، عن أيوب السختياني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبي صلى اللّه عليه وسلم عقّ عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا .

وتوبع عبد الوارث على وصله ، فتابعه سفيان الثوري ، فرواه عن أيوب بسنده سواء ، أخرجه أبو نعيم في ((الحلية)) (٧/١١٦) من طريق يعلى بن عبيد ، عن الثوري به ، قال أبو نعيم : (تفرّد بروايته موصولاً عن الثوري ، عن أيوب ... يعلى) ، ووقع خطأ في ((الحلية)) ، ولعلّ ما ذكرتُهُ هو الصواب ، وهذه المتابعة لا تثبت ؛ لأن يعلى بن عبيد وإن كان ثقة ، إلاّ أنه كان كثير الأوهام على الثوري ، ولذلك ضعّفه ابن معين في روايته عن سفيان الثوري ، وذكر ابن الجارود في ((المنتقى)) (٩١٢) أن الثوري يرويه عن أيوب ، عن عكرمة مرسلاً ، وتوبع عبد الوارث أيضًا ، تابعه حفص بن عمر البصري ، فرواه عن أيوب به موصولاً ، أخرجه الخطيب في ((تاريخه)) (١٠/١٥١) من طريق عبد اللّه بن مروان أبو شيخ – وثقه أبو حاتم – حدثنا موسى بن أعين ، عن حفص بن عمر .

وهذه المتابعة أيضًا لا تثبت ؛ لأنّ حفص بن عمر – ووقع في ((التاريخ)) : محمد وهو خطأ – ترجمه الذهبيُّ في ((الميزان)) (١/٥٦٧) ، والحافظ في ((اللسان)) (٢/١٣٩) ، وذكرا أن له حديثًا في العقيقة وهو هذا ، قال فيه الأزدي : (منكرُ الحديث) .

فأجود طريق لهذا الحديث هو ما رواه عبد الوارث بن سعيد ، عن أيوب ، وعبد الوارث أحدُ الثقات ، ولكنه خولف في وصله ، فقال ابنُ الجارود في ((المنتقى)) (٩١٢) : (رواه الثوري وابنُ عيينة وحماد بن زيد وغيرهم عن أيوب ، لم يجاوزوا به عكرمة) . اهـ .

وقد رواه عبد الرزاق في ((المصنف)) (٤/ ٣٣٠) عن الثوري ومعمر بن راشد ، عن أيوب ، عن عكرمة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم عقّ عن حسنٍ وحسين كبشين ، ولم يقولوا : (كبشًا كبشًا) ، فهؤلاء أربعةٌ ممن وقفت على أسمائهم خالفوا عبد الوارث فأرسلوه ، وهم يترجحون عليه في أيوب ، خاصة ابن عيينة وحماد بن زيد ، لا سيما الأخير منهما ، فقد قال ابن معين :ابن حرب يقول : حماد بن زيد في أيوب أكبر من كل من روى عن أيوب ، قال : أمّا عبد الوارث ، فقد قال : كتبتُ حديث أيوب بعد موته بحفظي ، ومثل هذا يجيء فيه ما يجيء ، وكنت صححت إسناد حديث عبد الوارث في ((غوث المكدود)) (رقم ٩١١، ٩١٢) ، فقد رجعتُ عنه الآن ، والله يغفر لي جهلي وإسرافي في أمري . وله طريق آخر عن عكرمة .

أخرجه ابنُ الأعرابي في ((معجمه)) (١/١٦٩/٩) قال : نا سليمان بن أحمد بن ياسين ، نا محمد بن عبد الله المخرمي ، نا أحمد بن عمر ، نا مسلمة بن محمد الثقفي ، عن يونس بن عبيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم عقّ عن الحسن كبشًا ، وأمر برأسه فحلقه ، وتصدق بوزن شعره فضة ، وكذلك الحسين أيضًا ، وهذا حديثٌ منكرٌ وسنده ضعيفٌ جدًّا ، وشيخ ابن الأعرابي لم أعرفه ، وأحمد بن عمر هو القصبي ، ترجمه ابن أبي حاتم في ((الجرح والتعديل)) (١/١/٦٢) ، ونقل عن أبيه قال : (مجهولٌ) ، ومسلمة بن محمد الثقفي ضعّفه ابن معين ، وقال أبو حاتم : ليس بمشهور ، شيخ يكتب حديثه ، ووثقه ابن حبان ، ومشاه أبو داود .

وله طريق ثالثٌ عن عكرمة ؛ أخرجه النسائي (٧/١٦٦) ، من طريق إبراهيم بن طهمان ، وهذا في ((سننه)) (٥٣) ، عن حجاج بن الحجاج – وسقط ذكره من كتاب ابن طهمان – عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم عقّ عن الحسَن والحسين كبشين كبشين .

ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني في ((الكبير)) (ج١١/ رقم ١١٨٣٨) ، وفي ((الأوسط)) (٨٠١٨) ، ولم يذكر العدد ، قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن قتادة ، إلاّ الحجاج بن الحجاج ، تفرّد به إبراهيم بن طهمان ، وهذا سندٌ جيّدٌ لولا عنعنة قتادة .

وحاصل البحث أن حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم عقّ بكبش واحدٍ ، هذا لا يصحُّ ، ولم أجد حديثًا يعوّلُ عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم عقّ بكبش واحدٍ ، وإلى حديث ابن عباس هذا ذهب مالكٌ ، فقال ابنُ عبد البر في ((التمهيد)) (٤/٣١٤) : واختلفوا في عدد ما يُذبح عن المولود من الشياه في العقيقة عنه ، فقال مالكٌ : يذبح عن الغلام شاة واحدة ، وعن الجارية شاة ، والغلام والجارية في ذلك سواء ، والحجة له ولمن قال بقوله ، وذكر حديث ابن عباس ، ثم قال : وقال الشافعيُّ ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبو ثور : يعق عن الغلام شاتان ، وعن الجارية شاة ، وهو قول ابن عباسٍ وعائشة ، وعليه جماعةٌ من أهل الحديث . (انتهى) .

والصوابُ ما ذهب إليه الشافعيُّ ومن معه ، وحديث ابن عباس والذي اعتمد عليه مالك قد عرّفناك ما فيه ، واحتج ابن عبد البر بآثار صحيحة عن ابن عمر وغيره ، ولا حجة في كل هذا في مقابلة الأحاديث المرفوعة المصرحة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((عن الغلام شاتان ، وعن الجارية شاة)) ، وذهب بعض أهل العلم إلى النسخ ، وأن الأحاديث التي فيها أن يعق عن الغلام شاتين ناسخ لحديث ابن عباس أنه يعقُّ عنه بكبشٍ .

وهذا مسلك ضعيفٌ أيضـًا ، ولا يثبت النسخ إلا بعد معرفة التاريخ ، وأين هو ؟ ولو صحَّ حديثُ ابن عباسٍ لكان القول بجواز الأمرين هو الأقرب إلى الأصول ، والله تعالى أعلم .

■ **أمـا الحديـث الثـالث** : ((أشـقى الأشقياء ...)) ؛ فإنه حديثٌ باطلٌ .

أخرجه الحاكمُ (٤/٣٢٢) ، والبيهقيُّ في ((السنن الكبير)) (١٣/٧) ، وفي ((الشعب)) (٥١١) ، والطبراني في ((الأوسط)) (٩٢٦٩) ، وابنُ عدي في ((الكامل)) (١٢-١١/٣) من طريق سليمان بن عبد الرحمن ، عن خالد بن يزيد بن أبي مالكٍ ، عن أبيه ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي سعيد الخُدري مرفوعـًا فذكره ، وخالد بن يزيد ضعفوه ، وله طرقٌ أخرى ساقطة ، وقد حكم أبو حاتم الرازي على الحديث بالبطلان - كما في ((علل ولده)) (٢٧٨/٢) ، وحكم عليه شيخنا الألباني في ((الضعيفة)) (١٣٩) بالوضع ، والحكم بالبطلان أدقُّ ، والله أعلم . وقد ساق شيخنا طرقه في ((الضعيفة)) ، فراجعها غير مأمور .

■ **أما الحديث الرابع** : ((أمان العبد جائز)) ؛ وهو حديث منكرٌ مرفوعـًا .

أخرجه أبو عمرو السمرقندي في ((الفوائد المنتقاة)) (رقم ٧٢ - بتحقيقي) من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن ، عن مسعر بن كدام ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن سلمان الفارسي مرفوعـًا به ، وهذا سندٌ منقطعٌ ، فنقل ابن أبي حاتم في ((المراسيل)) (ص٧٦) عن أبيه قال : أبو البختري الطائي لم يلق سلمان ، وأما قولُ أبي البختري : أنهم حاصروا نهاوند ، يعني ؛ أن المسلمين حاصروا .

وذكره الزيلعيُّ في ((نصب الراية)) (٣٩٦/٣) عن أبي موسى الأشعري مرفوعـًا بلفظ : ((أمان العبد أمان)) ، وقال : (غريبٌ) يعني : (لا أصل له) ، وهو اصطلاح خاصٌّ به يطلقه على الأحاديث التي وقعت في ((الهداية)) ، وليس لها أصلٌ ، كما صرَّح بذلك شيخنا العلامة أبو عبد الرحمن الألباني - حفظه الله - في ((الضعيفة)) (٤٤/٢) ، وصرَّح ابن الهُمام في ((فتح القدير)) (٣٠٢/٤) بأنه : لا يُعرف لها أصلٌ .

وأخرج البيهقيُّ (٩٤/٩) بسندٍ ضعيفٍ - كما قال الزيلعيُّ - عن علي بن أبي طالبٍ ، رضي الله عنه ، مرفوعـًا : ((ليس للعبد من الغنيمة شيء ، إلاَّ خرثي المتاع ، وأمانه جائزٌ إذا هو أعطى القوم الأمان)) ، وأخرج عبد الرزاق في ((المصنف)) (٢٢٢/٥) قال : حدثنا معمر ، وسعيد بن منصور في ((سننه)) (٢٦٠٨، ٢٦٠٩) قال : نا أبو شهاب وأبو معاوية ثلاثتهم عن عاصم بن سليمان الأحول ، عن فضيل بن زيد الرقاشي قال : شهدت قريةً من قرى فارس يقال لها : (شاهرتا) ، فحاصرناها شهرًا ، حتى إذا كان ذات يوم وطمعنا أن نُصبحهم ، انصرفنا عنهم عند المقيل ، فتخلَّف عبدٌ منا ، فاستأمنوه ، فكتب إليهم في سهم أمانـًا ، ثم رمى به إليهم ، فلما رجعنا إليهم خرجوا في ثيابهم ووضعوا أسلحتهم ، فقلنا : ما شأنكم ؟ فقالوا : أمنتونا وأخرجوا إلينا السهم فيه كتاب أمانهم ، فقلنا : هذا عبدٌ ، والعبد لا يقدر على شيءٍ ، قالوا : لا ندري عبدكم من حركم وقد خرجنا بأمان ، قال : فكتبنا إلى عمر بعض قصتهم ، فكتب عمر : إن العبد المسلم من المسلمين أمانه أمانُهم ، قال : ففاتنا ما كنا أشرفنا عليه من غنائمهم . وهذا لفظ معمر .

وأخرجه البيهقيُّ (٩٤/٤) عن شعبة عن عاصم الأحول مختصرًا ، وهذا سندٌ صحيحٌ . فالصواب في هذا الحديث الوقف . والله أعلم .

* * *

الفتاوى

إعداد
لجنة الفتوى
بالمركز العام
رئيس اللجنة
محمد صفوت نور الدين
أعضاء اللجنة
صفوت الشوادفي
د. جمال المراكبي

●● وردت إلينا أسئلة كثيرة عن حكم التأمين على العاملين بالحكومة، والقطاع العام والخاص، وهل يستوي مع التأمين على الحياة أو ضد الكوارث الذي تقوم به بعض شركات التأمين التجاري؟

●● توجد بعض الجهات التي لديها عمال ترفض التأمين على هؤلاء العاملين بحجة أن هذا التأمين غير جائز شرعًا؟

● **الجواب** : الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فالتأمين ينقسم إلى قسمين :

١- تأمين تجاري؛ الهدف من ورائه مجرد تحقيق الربح، كهذا الذي تتولاه وتقوم به شركات التأمين.

٢- تأمين تعاوني؛ الهدف من ورائه معاونة العاملين بعد سن المعاش، أو عند التقاعد بما يكفل لهم الحياة الكريمة والآمنة.

وهذان النوعان لا يستويان في الحكم ولا في الغاية التي يرمى إليها، ولا في الوسيلة التي يتم بها كل منهما.

فالتأمين التجاري حرام؛ لأنَّه يشتمل على ما تفسد معه العقود من الغرر، والربا، وبيع دين بدين، فالشخص الذي يؤمن على حياته أو مصنعه لا يدري كم من الأقساط سيدفع، وكم من المال يستحق، ومتى يستحق هذا المال إلا في حالة واحدة هي حالة انتهاء مدة عقد التأمين دون تعرض للكوارث، وهذا من قبيل الغرر والجهالة الذي يفسد العقود.

وهو كذلك يدفع مالاً في مقابل مال يأخذه دون مماثلة في قدر هذا المال أو تقابض في المجلس، وهذا من الربا المحرم شرعًا، فضلاً عن أن شركات التأمين تستثمر حصيلة أموالها في البنوك الربوية، لتحصل منها على أعلى فائدة، وهذا هو عين الربا المحرم.

وهذا هو الذي عليه أكثر علماء الأمة، وهو الذي انتهت إليه المجامع الفقهية التي بحثت هذا الموضوع.

والهدف من هذا التأمين هو مجرد تحقيق الربح ، دون نظر إلى إغاثة الملهوفين والمحتاجين ، ولهذا فلا يستفيد من هذا التأمين إلا من شارك فيه ، وتتحلل شركات التأمين من التزاماتها عندما تتيقن الخسارة كما في حالات الكوارث الطبيعية .

التأمين التعاوني حلال :

لأن الهدف من ورائه ليس مجرد تحقيق الربح والكسب المادي ، وإنما الغرض من ورائه هو المعاونة والمساعدة ، ومثل هذا الغرض - غرض التبرع - يعفى معه عن الجهالة والغرر ، لأنني لو تبرعت لك بما فى جيبي دون أن تعلم قدر ما في جيبي فإن التبرع يصح ولا يعتد بالغرر والجهالة ، بعكس ما لو اشتريت منك متاعك بما في جيبي دون أن تعلم قدر ما في جيبي ، فلا يصح العقد لوجود الغرر والجهالة .

قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة : ٢] .

ولا شك أن التأمين التعاوني من قبيل التعاون على البر والتقوى ، وفي « الصحيحين » : « إن الأشعريين إذا أرملوا في السفر أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما تبقى من أزوادهم ، ثم اقتسموه بالسوية ، فهم مني وأنا منهم » .

فقد أثنى النبي صلى اللّه عليه وسلم على الأشعريين ، ومدح صنيعهم هذا ، رغم اشتماله على الغرر والجهالة ، وذلك لوجود نية التبرع ، والتأمين على العاملين يقوم على التعاون والتبرع ، فالعامل يدفع حصة ، وصاحب العمل يدفع حصة ، ووزارة التأمينات تدفع حصة ، ولا يستفيد من حصيلة هذه الحصص إلا المحتاج من العاملين .

وهذا من التعاون الذي يجب تشجيعه والمشاركة فيه ✵

واللّه أعلم ، وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

✵ توجد تحفظات على هذه الفتوى تنشر العدد القادم باذن الله (رئيس التحرير)

●● يسأل : م . س . أ :

عن قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن اللّه ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾ [النساء : ١٣٧] ، وقوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن اللّه ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً ﴾ [النساء : ١٦٨] ، والتوفيق بينها وبين قوله تعالى : ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ [الأنفال : ٣٨] ؟

● **والجواب** : أن الآيتين الأوليين من سورة « النساء » خاصة بمن مات على ذلك الكفر ؛ لأنه إذا مات انقطع عمله ، فلا يغفر له ، والآية الأخيرة من سورة « الأنفال » تذكر الأمر المعلوم من حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم : « إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله » ، فمعنى : ﴿ إن ينتهوا ﴾ ؛ أي عن الكفر ، ويقول ابن كثير : أي عما هم فيه من الكفر والمشاق

والعناد ويدخلون في الإسلام والطاعة والإنابة : ﴿ يغفر لهم ما قد سلف ﴾ أي ؛ من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم ، ثم ساق حديث ابن مسعود مرفوعًا : « من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر » . (انتهى) .

والإساءة في هذا الحديث معناها : الكفر ، وليس معناها مجرد المعصية ، فلا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله .

ويقول ابن كثير على آية سورة « النساء » : يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان ، ثم رجع عنه ، ثم عاد فيه ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات ، فإنه لا توبة بعد موته ، ولا يغفر اللّه له ، ولا يجعل له مما هو فيه فرجًا ولا مخرجًا .

ويقول القرطبي عن الآية الأخرى من « النساء » : هذا فيمن يموت على كفره ولم يتب .

يظهر من هذا أن آيتي سورة « النساء » فيمن مات على الكفر ولم يدخل الإسلام ، وأن آية سورة « الأنفال » فيمن أسلم بعد الكفر .

● ويسأل الأخ السائل :

عن الشرك وأنواعه ؟ وعن الإيمان والكفر ؟

● والجواب : أن اللّه بعث رسله بالتوحيد : ﴿ واعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئًا ﴾ [النساء : ٣٦] ، « قولوا : لا إله إلا اللّه تفلحوا » . والتوحيد قسمان : إثبات ومعرفة ، وتوحيد قصد وطلب .

فالأول ؛ أن تثبت للّه الوحدانية في الخلق والرزق ، وتثبت له الوحدانية في صفاته وأسمائه فـ: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] .

والثاني ؛ ألا تقصد غيره في عبادة من دعاء أو طلب ومسألة أو رجاء وخوف وحب أو تعظيم ، فلا تسأل في السراء والضراء غيره ، ولا تطلب الشفاء ولا النصر إلا منه سبحانه .

والشرك ضد التوحيد ، فهو قسمان :

الأول : شرك في الإثبات والمعرفة ، فتثبت خالقًا معه أو غيره أو مدبرًا للكون أو محدثًا للحوادث سواه أو معه كما قال النمرود : ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، وكما ظن بعض المشركين أن اللّه خالق الخير ، وأن الشيطان يخلق الشر .

والثاني ؛ شرك القصد والطلب ، وهو إما أن تقصد غير اللّه فتسأله ما لا يسأل فيه إلا اللّه ، كالذين يسألون البدوي أو غيره قضاء الحاجات أو دفع الملمات وينذرون له ويتقربون إليه . وإما أن تقصد غير اللّه ليرفع مسألتك إلى اللّه سبحانه ، ومن شرك القصد والطلب أن تطلب بعملك أن يراك الناس أو يسمعوك ، وهو الرياء والسمعة ، وذلك كله من الشرك الأكبر .

أما الشرك الأصغر ؛ فهو ما يجري على الألسنة من الألفاظ موهمة للتسوية بين الخالق والمخلوق ، مثل الحلف بغير الله ، أو قولك : لولا فلان لكان كذا ، ونسبتك الحوادث لغير الله ، كحديث : « أمطرنا بنوء كذا ونوء كذا » .

أما الإيمان والكفر :

فالإيمان ؛ هو التصديق ، وهو تصديق بالاعتقاد وبالعمل ، وتصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح تصديقًا لذلك الإقرار ، والكفر ضد ذلك ، وهو الجحود بالقلب أو باللسان أو بالعمل .

فالإيمان اعتقاد وقول وعمل ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، فالمؤمنون يتفاوتون في الإيمان ، فقوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ [النساء : ٩٢] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية السلمي عن الجارية التي سألها : « أين الله ؟ » قالت : في السماء ، وسألها : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : « أعتقها فإنها مؤمنة » ، فتلك الجارية ليس إيمانها كإيمان أبي بكر وعمر .

وللإيمان أعمال ، وللكفر أعمال ، فالصدق والبر والصلة والصدقة والسلام كلها من أعمال الإيمان ، والكذب والسرقة والزنا وشرب الخمر من أعمال الكفر ، وكما أن من عمل من أعمال الإيمان السابقة لا يدخل بها إلى الإيمان إلا أن يسبقها تصديق بالقلب وإقرار باللسان ، كذلك من وقع منه بعض أعمال الكفر ، فإنه لا يدخل الكفر ويخرج من الإيمان ما لم يصاحبه اعتقاد قلب ، أو إقرار باللسان ، وذلك هو الذي يميز الكفر العملي الذي لا يخرج من الملة المسمى بالكفر الأصغر عن الكفر الاعتقادي المخرج من الملة .

فهذه كلمات يسيرة تناسب المقام ، ولكن عليك أن تراجع ما كتب في ذلك من كتب التوحيد ، مثل « فتح المجيد » ، و« شرح الطحاوية » ، و« معارج القبول » . والله أعلم .

●● ويسأل : محمد شاكر علي آدم :

عن القسم بالتين والزيتون ، هل لأنه أعظم الفواكه ؟

● **والجواب ما قاله ابن كثير** : في قوله تعالى : ﴿ والتين والزيتون ۞ وطور سينين ۞ وهذا البلد الأمين ﴾ [التين : ١-٣] هذه محالّ ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول محله التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، والثاني طور سينين ؛ وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، والثالث ؛ مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا ، وهو الذي أرسل فيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء – يعني : الذي كلم الله عليه موسى بن عمران – وأشرق من ساعير – يعني : جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى – واستعلن من جبال فاران – يعني : جبال مكة التي أرسل الله منها محمدًا صلى الله عليه وسلم – فذكرهم خبرًا عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ، وفي القرآن قسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ، ثم بالأشرف منهما .

سلاح إسلامي خطير ..

أين المُطْلِقون ؟!

بقلم الشيخ مصطفى درويش

أخطر من الصواريخ عابرة القارات ، وأخطر من القنبلة الذرية والهيدروجينية ، سلاح لا يترك المدن خرابًا ودمارًا ، ولا يسفك الدماء ، ويحول الشعوب إلى جثث تتعفن ، ويجب أن توارى بالتراب .

إنه سلاح أخطر من كل ذلك ؛ لأنَّه يتسلل إلى القلوب الخربة فيعمرها ، ولا يتسلل إلى المدن فيدمرها ، هذا السلاح يعيد الشعوب إلى فطرتها التي فطرها اللّه تعالى عليها ، لقد فطر اللّه تعالى الشعوب على التوحيد ، لأنَّه شَهدَ بوحدانية نفسه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أنه لا إله إلاَّ هو والملائكةُ وأولوا العِلْمِ ... ﴾ [آل عمران : ١٨] ، ولا يعقل أن يشهد بوحدانية نفسه ويخلق الشعوب على غير هذا ، وخلق الشعوب وحدد لهم مهمتهم ، فقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبُدُون ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، ولا يعقل أن يخلقهم لعبادته ولا يجعلهم مؤهلين لهذه العبادة ، إنما أودع في كيانهم العبادة الحقة ، وخلقهم عليها ، ولهذا قال : ﴿ وإذْ أخَذَ ربُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُمْ وأشْهدَهُمْ على أنفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ... ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، حتى لا يحتجوا على الكفر والضلال بالغفلة أو التلقي من البيئة وإرث الضلال ، وهذا السلاح الخطير يمكن أن يوجه إلى أمريكا وأوربا الغربية والشرقية وغيرها ، والشعوب في حاجة إلى هذا السلاح الذي يعيدها إلى فطرتها ، ويصحح لها عقائدها ، ويحقق لها الأمن والأمان والطمأنينة .

الشعوب أصبحت لا تصدق إطلاقًا أن الإله العظيم خالق الكون الكبير يمكن أن يستريح في اليوم السابع ، أو يدخل مع يعقوب في مصارعة ، أو يدعى إلى وليمة عند إبراهيم ، ويأكل الزبد ويشرب اللبن ، كما يقول هذا المصنف الذي أطلق عليه زورًا وبهتانًا لفظ ((التوراة)) ،

والشعوب لا تصدق إطلاقًا أن خالق هذه العظمة التي مازالت تكتشف أبعادها للآن بمركبات الفضاء ، لا يصدق أن خالق هذه العظمة يمكن أن يتحول إلى إنسان يستقر في أحشاء امرأة تتألم لولادته ، فتلجأ إلى جزع نخلة وتضعه في مزود للبقر وتقطع عنه الحبل السري وتزيل عنه فضلات الرضاعة ، ثم في اليوم السابع يختتن في لحم غرلته ، ثم يقال : هذا رب العالمين !! تواضع إلى هذه الدرجة !! وأنه لا إنقاذ للبشرية إلا بهذا التواضع المهين !! ثم ماذا بعد ذلك !! لا يمكن أن يتجاوز عن أخطاء البشر ويسمح لهم بالدخول في ملكوته إلا إذا أمسكوا به وقتلوه !! ويترك الناس في حيرة هل الذين قتلوه أبرار أم فجار ؟! أبرار منفذون للفدية والكفارة والخلاص أم فجار قتلة سفكوا دم هذا الرب المتأنس البريء ؟!

والعجيب أن مصنفاتهم أيضًا تقول : إن هذا الرب البريء المقتول كان يستنجد برب آخر ويقول : (إلهي .. إلهي لماذا تركتني ؟) ، صدقوني الشعوب أصبحت لا تهضم هذه الأفكار التي تسبب لها عسر هضم عقائدي ، وتريد أن تبحث عن الخلاص ، وتريد أن تبحث عن كتاب حق يحقق لها هذا الخلاص ؛ لأن الشعوب أصبحت لا تصدق أن الرب ينزل كتابًا يحدد للشعوب إطار العمل والعبادة فيلصق بالأنبياء تهم التعري والزنا والفحش والفسق والغدر والخيانة وارتكاب الفاحشة مع المحارم وإنجاب المواليد غير الشرعية ، وغير ذلك كثير مسطور في أسفار هذا المصنف الذي أطلق عليه ((التوراة)) .

☐ الشعوب أفاقت وأصبحت لا تصدق الحملات المسعورة التي تشنها محطة مونت كارلو في آخر الليل تريد أن تبرر للناس اللامعقول على أنه معقول !!

الشعوب في حيرة الآن ؛ كيف يمكن أن يكون الثلاثة برغم ما بينهم من اختلافات ومحاورات ومجادلات وتجاوزات برغم كل ذلك الثلاثة واحد ؟؟!! وأصبحت الشعوب لا تصدق كل المبررات والفلسفات التي يأتي بها أقطاب الدين ، لأن الشعوب تعلم أن هؤلاء الأقطاب لا يصدقون ذلك أيضًا ، وهذه المبررات فقط للمحافظة على المناصب الدينية وما تدره من ماديات ومعنويات وأدبيات .

هل تصدق الشعوب أن الرب تأنس وتجسد لإنقاذ البشرية ، ثم يتراجع عن إنقاذ امرأة كنعانية بحجة أنه جاء لخراف بيت إسرائيل الضالة ، وأن ما عدا الإسرائيليين من الشعوب كلاب لا يلقى لهم خبز البنين !! إن كنتم لا تصدقون فارجعوا إلى مصنفات العهد الجديد ، وإذا كان الثلاثة واحد في الأزلية والأبدية فمن الذي وزع عليهم ألقاب هذا أب ، وهذا ابن ، وهذا روح قدس ؟؟!! وهل يمكن للرب أن يحول الماء في حفلة عرس إلى خمر

☐ في بلدان المسلمين تسير وكأنك تسير في بلدان أوربا وغيرها : الخمارات ، والبارات ، وعلب الليل ، وإعلانات عن راقصات عاريات ، وخروج واضح على شريعة القرآن !!

ليشرب كل المدعوين ؟؟!! ثم يقال : هذا كتاب يتعبد به !! هل يعقل أن يقال في هذا المصنف المسمى ((توراة)) : إن موسى كتب التوراة بيده !! ثم تأتي في هذه التوراة قصة مرض ووفاة موسى والمناحة التي أقامها بنو إسرائيل وما تلا ذلك من أحداث ، أي عقل يمكن أن يصدق هذا !! وهل يعقل أن يأتي في إنجيل المسيح قصة الإمساك به ومحاكمته وقتله المزعوم ودفنه في القبر ، وكل ذلك إنجيل تلقاه المسيح من اللّه ؟؟!!

الشعوب أفاقت وأصبحت لا تصدق كل هذا برغم الحملات المسعورة التي تسلطها محطة ((مونت كارلو)) في آخر الليل ، تريد أن تبرر للناس اللامعقول على أنه معقول ، أي رب هذا الذي يضع الشعوب في حيرة من أمور لا يقبلها العقل ولا يقرها القلب ، وواضح فيها وجه التناقض والبطلان لأول وهلة ، لدرجة أن الشعوب الآن أصبحت ترفض كل ذلك ، وآثرت أن تعيش في اللادين ، بدلاً من أن تدين بهذا اللامعقول ، وذلك شيء لمسته بنفسي في جولاتي في البلدان الأوربية ، كنت دائمًا أواجه بهذا السؤال : أثبت لنا وجود إله ؟ لأن الشعوب الأوربية رفضت إلهًا بهذه الصورة وهذه المهانة ، فظنت أنه من الخير أن لا إله !! ولكن من يستخدم هذا السلاح الخطير ويقول للشعوب : لا إله إلا اللّه ، اللّه الموصوف بكل صفات الكمال والجلال والعظمة ، الحي القيوم الذي يرحم الناس ، وهو العظيم ذو الجلال والإكرام .

☐ المرضى لا يصلحون لمعالجة المرضى ، والناكبون عن صراط اللّه المستقيم لا يصلحون لتوصيل الناس إليه ، فأين اليد الأمينة التي يمكن أن تطلق هذا السلاح ؟؟!!

من يقدم للشعوب الكتاب الحق الذي يحدد لهم إطار العمل في الدين والدنيا ، ويحقق لهم سعادة الدارين ، من يقدم للشعوب هذا البديل العظيم الذي حدد للشعوب أخطر أمورهم الدنيوية من زواج وطلاق ومواريث وصيانة للدماء والأعراض والأنفس والأموال ، وحدد لهم إطار العمل للآخرة وأجاب عن هذا السؤال الخطير الذي يتردد بينهم دائمًا : نحن نولد ونموت ، فلماذا نعيش ؟

فقال لهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، وإذا حافظوا على هذه المهمة الرئيسية كانت لهم حياة أخرى ونعيم أبدي بلا موت ولا تكليف ، بل وقدم لهم في السماوات والأرض وفي أنفسهم الدليل على أنه كتاب من عند اللّه ، بدليل أنه ماتت الماركسية مع ماركس ، وماتت النازية مع هتلر ، وماتت كل المواثيق التي قدمها الزعماء والقادة للشعوب ، ودفنت معهم ، وتخطى الكتاب الحق خمسة عشر قرنًا ، وبقي كما نزل .

من يحمل هذا السلاح الخطير فيغزو به شعوب أمريكا وأوربا وغيرها ؟ من يوصل للشعوب ما يعيدهم إلى الحقيقة التي خُلقوا عليها وخُلقوا من أجلها ؟ هل الشعوب الإسلامية بحالتها الآن لديها الصلاحية لحمل هذا السلاح وتوصيله ؟؟!!

> ☐ **تطالعنا الشاشة الصغيرة ببرنامج رقص عاري ، ثم تذيع بعد ذلك أذان الظهر أو العصر أو غيره . وبعد الأذان : نواصل البرنامج الراقص !!**

في بلدان المسلمين تسير وكأنك تسير في بلدان أوربا وغيرها ؛ الخمارات ، والبارات ، وعلب الليل ، وإعلانات عن راقصات عاريات ، وخروج واضح على شريعة القرآن ، والعجيب أن تطالع برنامج رقص عاري فيما يسمى بـ ((الشاشة الصغيرة)) ، ثم يقال : ونذيع الآن أذان الظهر أو العصر أو غيره !! وبعد الأذان : نواصل الآن برنامج الرقص !!

المرضى لا يصلحون لمعالجة المرضى ، والناكبون عن صراط اللّه المستقيم لا يصلحون لتوصيل الناس إليه ، إن هذا السلاح الخطير الذي يمكن أن يحول الشعوب دون إراقة دماء لا بد أولاً أن يجد من يحترمه ويقدره ويعيش فيه ، لا يمكن أن تكون الشعوب الضالة قدوة في الثقافة والمظهر والحضارة والتشريعات ، ثم يفكر المقلدون في تحويل هذه الشعوب إلى الدين الحق والكتاب الحق .

إن أول خطوة لدعوة الشعوب هي أن نعيش نحن في الحق كاملاً ، فأين اليد الأمينة التي يمكن أن تطلق هذا السلاح ؟؟!!!

مصطفى درويش

عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ((أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا اللّه ، فمن قال : لا إله إلا اللّه فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه ، وحسابه على اللّه)) . [أخرجه البخاري] .

الاقتصاد الإسلامي

بقلم
أ . د / علي أحمد السالوس
أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة جامعة قطر

الفرق بين القروض والديون ..

دعيت لإلقاء بعض المحاضرات العامة وخطبة الجمعة في البحرين ، وتحدثت عن مواطن الربا في المعاملات المعاصرة ، وموقف المسلم من اختلاف الفقهاء ، وطرق الاستثمار ؛ الحلال منها والحرام ، وجاء مندوب صحيفة ليأخذ حديثًا لينشره ، وسألني أسئلة عدة كان منها : ما الفرق بين عقد القرض والدين والوديعة والاستثمار ؟

فبينت له خطأ السؤال ، فليس في الفقه الإسلامي عقد اسمه استثمار ، وإنما هناك طرق استثمار مشروعة ، ولها ضوابطها الشرعية ، وطرق استثمار محرمة ، ولذلك لا يجوز أن نجعل الاستثمار شيئًا واحدًا ، نحكم عليه بالحِل أو الحرمة ، وإنما لا بد من أن يكون الحكم على كل طريقة من طرق الاستثمار ، ولكن كاتبنا جعل الاستثمار عقدًا واحدًا ، له اصطلاح فقهي يدل على أنه حلال !!

هكذا لأول مرة في تاريخ الدراسات الفقهية !!

والأشد غرابة وعجبًا أن عدّ الكاتب هذا تصحيحًا لخطأ كبير ، وفهم سقيم وقع فيه أئمتنا الأعلام ، ومشايخنا الكرام والمجامع الإسلامية الثلاثة جميعها ، وكل المؤتمرات في مشارق الأرض ومغاربها التي بحثت معاملات البنوك ، كل هؤلاء جهلوا اللغة والفقه معًا ، فلم يضعوا الألفاظ الأربعة في الموضع الصحيح !!

ولننظر فيما كتب نظرة علمية مجردة ، سائلين اللّه تعالى أن يرينا جميعًا الحق حقًا ، ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ، ويرزقنا اجتنابه .

قال الكاتب في نهاية حديثه عن القرض : (ومن ذلك يتبين لنا ، أن لفظ القرض قد عبر عنه القرآن الكريم ، بمعنى مجازي بديع ، وهو الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين والغارمين ، وجاءت الأحاديث النبوية ، والمعاجم اللغوية ، فاستعملت لفظ القرض في معناه الحقيقي ، وهو معاونة الغير عن طريق إعطائه ما هو في حاجة إليه من أموال على

والودائع والاستثمار

سبيل السلف إلى وقت معين) . اهـ .

وقول الكاتب هذا صحيح ، ولكن ينقصه شيء هام جدًا ، بينه قول الحق ، تبارك وتعالى ، فحديث القرآن الكريم عن القرض جاء في ست آيات ، كلها بلا استثناء جاءت بلفظ : ﴿ قرضًا حسنًا ﴾ .

فكلامه يحتاج إلى إضافة بيانية ، وهي : أن المقصود هنا القرض الذي يرضاه الله ، عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو القرض الحسن الذي أجمعت الأمة على استحبابه .

وهذا يستدعي أيضًا إضافة أخرى ، وهي بيان القرض غير الحسن ، وتحدث الكاتب عنه في موضع آخر ، فقال : القاعدة الشرعية تقول : (كل قرض جر نفعًا فهو ربًا) ، أي كل قرض اشترط صاحبه على المقترض منه أن يرده إليه زائدًا عن أصله ، فهذه الزيادة ربًا . اهـ .

□ هنالك ضوابط شرعية وبيان للحلال والحرام في طرق الكسب وتثمير المال وتكثيره .

إذن فالحديث عن القرض يستدعي بيان القرض الحسن ، والقرض غير الحسن ، وهو القرض الربوي ، وهذا القرض الربوي هو الذي كان منتشرًا في الجاهلية ، حيث جعلوا من القروض وسيلة للاستثمار في رحلة الشتاء والصيف وغيرهما ، وأوضح مثل لهذا ما كان من العباس وشريكه ، حيث كانا يسلفان في الربا ، فجعلا هدف الشركة استثمار المال عن طريق الإقراض الربوي ، فحرم الله تعالى هذا المنهج في الاستثمار وأبطله .

وجاء النظام الرأسمالي ليعيد إلى الاقتصاد المنهج الحرام ، فجعل فوائد النقود مقابل الزمن ؛ كأجر العمال ، وريع الأرض ، كلها في مبادئه وسائل إنتاج واستثمار .

وعن يهود هذا النظام الاقتصادي جاءتنا فكرة البنوك الربوية ، أرجو من البداية أن نتنبه ، فقد حصر الكاتب معنى القرض في الحسن منه ، ولم يشر إلى غير الحسن إلا في موضع آخر ، ونتيجة هذا الحصر رأيناه بعد ذلك يخرج القرض الربوي من معنى القرض ، ويدخله في الاستثمار ، بل في الاستثمار الحلال ، ومع هذا يرى الكاتب أن العلماء الأعلام السابقين واللاحقين قد خلطوا !!

ثم استطرد الكاتب إلى الحديث عن الدين ، وبين أنه أعم من القرض ، ثم عن الوديعة ، وهذا صحيح - في الجملة إن شاء الله تعالى - بملاحظة أمرين :

❋ **الأول :** أن الزيادة على الدين - بغير شرط أو عرف - جائزة شرعًا ؛ ذلك أن المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا ، وأظن أننا الآن في الزمان الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم : ((يأتي على الناس زمان يأكلون الربا ، فمن لم يأكله أصابه غباره)) . وفي رواية : ((بخاره)) . [أخرجه أحمد والنسائي] .

ويحضرني في هذا المقام ما جاء في ((صحيح البخاري)) من قول عبد الله بن سلام ، رضي الله عنه ، لأبي بردة : (إنك في أرض - يقصد العراق - الربا بها فاشٍ ؛ إذا كانت لك على رجل حق ، فأهدى إليك حمل تبن ، أو حمل شعير ، أو حمل قت ، فإنه ربًا) .

ومثل هذا الأمر في ((مصنف عبد الرزاق)) (١٤٣/٨) : عن أُبي بن كعب ، رضي الله عنه ، وفيه : ((فخذ قرضك ، واردد إليه هديته)) .

فإذا كان مسلك بعض التجار العراقيين وحيلهم - ففي رواية : إنكم بأرض تجار - جعل الصحابيين الجليلين يمنعان أخذ الزيادة غير المشروطة ، فمن باب أولى يجب الحذر والحيطة في زمننا ، حيث قامت نظم اقتصادية على أساس الربا ، وأصبح التعامل بالربا أسوأ مما كان عليه الحال في الجاهلية ، وقد أثبتُّ هذا في أكثر من كتاب من كتبي .

❋ **والثاني :** أن معنى الودائع الشائع المستعمل ؛ ودائع البنوك ، أو الودائع لأجل ؛ أو الودائع الاستثمارية ، لا يعني عقد الوديعة في الفقه الإسلامي ، وإنما هي تسمية اصطلح الناس عليها في العرف المصرفي ، وهي في غير موضعها اللغوي والشرعي ، وقد نبهت إلى هذا منذ أكثر من عشر سنوات ، وبينت أن ودائع البنوك الربوية عقد قرض ، وأن الودائع الاستثمارية في البنوك الإسلامية شركة مضاربة ، وقد تم تدريس ما كتبته في بعض المعاهد التجارية العليا منذ سنة ١٤٠٠ هـ ، وقت أن كانت البنوك الإسلامية في المهد ، وقبل بضع سنوات من وجود أي بنك إسلامي في قطر .

ننتقل بعد هذا إلى ما جاء عن الاستثمار ؛ قال الكاتب : والكلمة الرابعة وهي الاستثمار مأخوذة من الثمر ، وذكر قول صاحب ((القاموس المحيط)) : (ثمّر الرجل ماله ، أي ؛ نماه وكثره ، وأثمر الرجل أي ؛ كثر ماله) .

وما جاء في ((المعجم الوسيط)) : (الاستثمار ؛ استخدام الأموال في الإنتاج ، إما مباشرة كشراء الآلات والمواد الأولية ، وإما بطريق غير مباشر ، كشراء الأسهم والسندات) . ثم ذكر تفسير

قوله تعالى : ﴿ وكان له ثمرٌ ﴾ [الكهف : ٣٤] ، فقال : (وكان للرجل الذي يملك هذين البستانين أموال كثيرة أخرى غير هذين البستانين ، من الذهب والفضة والأنعام) ، ثم قال : والخلاصة ؛ أن لفظ الاستثمار معناه : أن يبحث الإنسان عن المصادر والمعاملات المتنوعة التي توصله إلى تكثير ماله وتنميته بالطرق المشروعة التي أحلها اللّه تعالى) .

☐ الاقتصاد الرأسمالي الذي أخذناه عن يهوده - نظام البنوك الربوية - ينظر إلي التنمية بمنظار كثرة المال ، دون التفات إلي حلال أو حرام.

● قلت : صاحب ((القاموس)) لم يشر إلى الحلال أو الحرام ، فتكثير المال قد يكون بالطرق الحرام ، فهو ذكر المعنى اللغوي دون إشارة إلى الطرق الحلال منها والحرام ، و((المعجم الوسيط)) وإن ذكر بعض الطرق ، غير أنه لم يذكر الحكم الشرعي ، ذلك أن موضع الحكم الشرعي ليس معاجم اللغة ، والأمثلة التي ذكرها ليست كلها مشروعة أحلها اللّه تعالى ، وعلى سبيل المثال : إذا قامت شركة مساهمة لصناعة الخمور والتجارة فيها ، فهل أسهمها حلال ؟ وإذا أرادت هذه الشركة قرضًا لمدة معينة فأصدرت سندات ، فهل شراء هذه السندات حلال ؟

وإذا جئنا إلى الكافر ، صاحب الجنتين ، الذي : ﴿ كان له ثمرٌ ﴾ ، فهل كسب هذه الأموال الكثيرة كلها بطرق مشروعة أحلها اللّه تعالى ؟ فمن أين جاء الكاتب بقوله : بالطرق المشروعة التي أحلها اللّه تعالى ؟

إن الاستثمار لا يفتى فيه بالحل أو بالحرمة إلا بعد النظر في المصادر والمعاملات المتنوعة التي توصل الإنسان إلى تكثير ماله وتنميته ، وليس بمسلم من أنكر هذه المصادر ، والمعاملات منها ما أحله اللّه ، عز وجل ، ومنها ما حرمه ، وليس بمسلم من أبطل شريعة اللّه سبحانه وتعالى التي بينت الحلال والحرام في طرق الكسب وتنمية المال ، وجعل الاستثمار كله حلالاً ، أو كله حرامًا . فهذه القضية - عقلاً أو شرعًا - أوضح من أن تناقش .

ثم قال الكاتب : (والخلاصة التي أريد أن أصل إليها بعد أن عرفنا معاني هذه الألفاظ لغة وشرعًا ، هي : أن هذه الألفاظ لكل منها معناه الخاص ، وأن وضع هذه الألفاظ مكان الآخر هو من باب الخطأ ، أو على الأقل من باب التجاوز في التعبير .

ومع أن العبرة في المعاملات بالمقاصد والمعاني ، لا بالألفاظ والمباني ، إلا أن وضع الألفاظ

في معانيها الصحيحة أمر لا بد منه لتجلية الحقائق ، والابتعاد عن الخلط الذي كثيرًا ما يؤدي إلى الأحكام الخاطئة ، والتفسيرات السقيمة .

الآن لنا أن نتساءل : هل المعاملات التي تقوم بها البنوك والمصارف تشمل هذه الألفاظ الأربعة أو تشمل بعضها دون بعض ؟ وأي هذه الألفاظ أقرب إلى حقيقة التعامل مع هذه البنوك ؟ وما الحكم الشرعي إذا قصد إنسان – بالتعامل معها – معاملة معينة ينطبق عليها أحد هذه الألفاظ الأربعة دون الآخر . اهـ .

❋ **قلت :** الألفاظ الثلاثة الأولى جئت بمعناها لغة وشرعًا ، مع خطأ في القرض بينته لك في محله ، وهذه الثلاثة لها ضوابطها الشرعية التي نجدها في الفقه الإسلامي .

أما لفظ الاستثمار فقد ذكرت معناه اللغوي فقط لا الشرعي ، واستمددته من معجمين لغويين ، واستعنت بحديث القرآن الكريم عن الكافر الذي : ﴿ كان له ثمرٌ ﴾ ، وهذا كله لا يعطي المعنى الشرعي ، لكن الكاتب تحامل على الشرع ، وأعطى الحكم من عند نفسه ، وجعل كل استثمار حلالاً ، وزعم أن مراجعه تعطي هذا المعنى الشرعي ؛ فمن أين جاء هذا ؟! وهي لم تقصده من قريب ولا بعيد ، وليس بين المراجع كتاب فقه واحد ، وليس في الفقه الإسلامي كله – في جميع كتبه – ومذاهبه عقد اسمه استثمار ، ولا ينعقد عقد بهذه الصيغة !!

نعم هناك ضوابط شرعية ، وبيان للحلال والحرام في طرق الكسب وتثمير المال وتكثيره ، وإن لم تنتشر كلمة استثمار في الفقه ، فالكلمة تعني عقودًا مختلفة منها الحلال ومنها الحرام .

ولا يمكن أن يكون الاستثمار كله حلالاً ، فقد سبق بيان بعض أمثلة للاستثمار الحرام مما ذكره الكاتب نفسه من المراجع لبيان المعنى ، ولم أشأ أن أزيد آنذاك ، فالاستثمار الحرام معلوم مقطوع به في الجملة لعامة المسلمين ، فضلاً عن خاصتهم ، فالزارعون لأشجار المخدرات وصناعها وتجارها ؛ مستثمرون ، وأصحاب الملاهي الليلية ودور البغاء والقمار ؛ مستثمرون .

> **☐ القرض لا بد أن ينفصل عن الاستثمار في حالة واحدة فقط وهي القرض الحسن والاستثمار الحلال ، أما في غيرهما فيمكن ألا ينفصل .**

والاقتصاد الرأسمالي الذي أخذناه عن يهوده – نظام البنوك الربوية – ينظر إلى التنمية بمنظار كثرة المال ، دون التفات إلى حلال أو حرام ، أو مصلحة أو

مفسدة ، فالمرأة التي تعمل في بيتها فقط ، وتربي أولادها ، وتخرج النشء الصالح ، ليست منتجة ، والمرأة التي تعمل في تلك الملاهي وتشبع رغبات العابثين امرأة منتجة ، بل هي بمقياسهم الفاسد أكثر إنتاجًا من المعلمة والطبيبة ، مادامت تتقاضى أجرًا أكبر .

والقرض لا بد أن ينفصل عن الاستثمار في حالة واحدة فقط ، وهي القرض الحسن ، والاستثمار الحلال ، أما في غيرها فيمكن ألا ينفصل ، بل يدخل في كثير من استثمارات العصر أكثر مما كان في الجاهلية الأولى .

ففي الجاهلية مثلاً كان العباس وشريكه يسلفان في الربا ، أي إن تلك الشركة كانت تثمر أموالها عن طريق القروض الربوية ، والعباس أيضًا كان يثمر جزءًا من ماله عن طريق المضاربة ، وفي عصرنا كثير من الشركات تثمر فائض أموالها عن طريق الإقراض الربوي ، ويتضح هذا من دراسة ميزانية هذه الشركات .

☐ البنوك الربوية – يهودية المنشأ – لم تقم إلا على أساس تثمير المال عن طريق الربا !!

أما البنوك الربوية – يهودية المنشأ – فلم تقم إلا على أساس تثمير المال عن طريق الربا ، الذي أثبتُ أكثر من مرة أنه أسوأ من ربا الجاهلية ، والخطأ في تناول الكاتب للقرض ، وحكمه على الاستثمار ، والخلط بين الأنواع المتباينة ، أدى بعد ذلك إلى أخطاء جسيمة ، وهذه نتيجة حتمية ، ومع هذا زعم أنه كشف عن خلط ، وصحح أحكامًا خاطئة ، وتفسيرات سقيمة ، وهذا الخلط وهذه الأحكام والتفسيرات التي زعمها ، نراها صدرت عن الشيخ عبد المجيد سليم ، والشيخ شلتوت ، والشيخ أبي زهرة ، والشيخ دراز ، والشيخ عبد الرحمن تاج ، وأمثالهم من الأئمة والعلماء الأعلام ، ومن شاركوا في المجامع والمؤتمرات التي أشرت إليها .

أهؤلاء جميعًا خلطوا ، وأصدروا أحكامًا خاطئة ، وتفسيرات سقيمة عندما بينوا حرمة فوائد البنوك ، وأنها من ربا القروض والديون ، وهو ربا النسيئة المحرم بالكتاب والسنة والإجماع ، ثم جاء الكاتب ليكتشف أنها عائد استثماري ، والاستثمار كله حلال وليس فوائد قروض ، فالقروض كلها حسنة !!

وإلى اللقاء في العدد القادم إن شاء الله تعالى .

أ . د / علي أحمد السالوس

عقيدة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

بقلم أ / محمود المراكبي

٨

ابن سبعين والوحدة المطلقة

الحمد للّه على نعمة التوحيد ، والصلاة والسلام على من دلنا عليها ، محمد بن عبد اللّه المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فقد تتابعت من فضل اللّه – تبارك وتعالى – أحاديثنا حول أهم ركن من أركان تدور حوله عقيدة الصوفية ، ألا وهو ؛ وحدة الوجود ، وعرج بنا الحديث على مراحل انحراف الفكر الصوفي والقول بالفناء والشطح والسكر ، ثم توقفنا عند دور الحلاج والبسطامي ، ثم واصلنا السير حتى أبرزنا دور ابن عربي ، وعرضنا نظريته عن وحدة الوجود ونتائجها ، وأثبتنا أن الرجل ليس إمامًا للعارفين ، ولكنه هادم لأصول الدين ، واليوم نستكمل الحديث مع ابن سبعين ودوره الذي لا يستهان به ، فنقول وباللّه تعالى التوفيق :

ولد أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم الأندلسي ، المعروف بابن سبعين في سنة ٦١٣ هـ ، وفي نفس المدينة التي ولد بها ابن عربي ، وتوفي بمكة المكرمة سنة ٦٦٩ هـ ، ثم انخرط في سلك الطريقة الشوذية ، نسبة إلى شيخه الصوفي الأندلسي عبد اللّه الشوذي ، ثم أسس فيما بعد الطريقة السبعينية ، وقد حصل ابن سبعين على الكثير المتنوع من المعارف ، فتعلم فنون الفكر الإسلامي واليوناني ، كما تعلم المذاهب والديانات غير الإسلامية ، وحذق في علم الحروف (الجفر) والطب وغير ذلك من المعارف(١) .

ومن أهم مؤلفاته ؛ « بُد العارف » ، و« المسائل الصقلية » ، و« رسالة الإحاطة » ، وكتاب « الألواح » ، و« الرسالة النورية في الذكر » ، وبعض الرسائل الأخرى ، وقيل : إنه مات منتحرًا أو مسمومًا ، وفي ذلك ورد : « وقد مات منتحرًا بمكة بأن قطع شرايين يده حتى تصفى دمه »(٢) .

ويعد كتابه « بُد العارف » من أهم كتبه ، وقد أمعن الرجل في الرمز في كتاباته ، مما جعل المتخصصين في التصوف يحاولون فك رموز ابن سبعين ، ومنها مراده من كلمة « بُد » ، فيقول الدكتور / التفتازاني : البد هو المعبود ، بينما ينفي يوسف زيدان هذا الرأي قائلا : ولكننا نرى أن لاستعمال ابن سبعين لكلمة « بُد » مغزى غير ذلك الذي ذهب إليه الدكتور / التفتازاني ومحقق الكتاب ! فقد شغف ابن سبعين بالاطلاع على الديانات والمذاهب القديمة ، ومن بينها المذاهب الهندية ، ويحدثنا البيروني في « تحقيق ما للهند من مقولة » (ص٣١) عن مذهب أصحاب البُد ، وهم فرقة هندية ، عليها مسحة صوفية عرفانية ، وكلمة « البُد » عندهم تعني البرق الذي أخرجه « براهما » من باطن الأرض ، كما يخبرنا الشهرستاني في « الملل والنحل » (ص ٥٩٦) ؛ أن هناك جماعة من البراهمة يسمون أصحاب « البددة » ومعنى البُد عندهم ؛ شخص في هذا العالم اسمه « شاكمين » وتفسيره ؛ السيد الشريف ، ودون مرتبة البُد ، مرتبة البُوديسعية ، ومعناها ؛ الإنسان الطالب سبيل الحق .

وعلى ذلك فالأرجح أن يكون رمز البُد عند ابن سبعين مأخوذاً بمعناه الحرفي من تلك المذاهب القديمة التي شغف ابن سبعين بها(٣) .

● دور ابن سبعين في الوحدة :

لم يترك ابن سبعين أصحاب الفرق والآراء والفلاسفة إلا انتقدهم وخطأً موقفهم ، فيقول : الفقيه ؛ صالح الأصل فاسد الفرع ، صادق الجنس كاذب النوع ، والأشعري ؛ فاسد الأصل ، قبيح الفرع ، والفيلسوف ؛ كثير السلاح ، قليل النطاح ، طويل العدة ، قصير المدة والنجدة ، وأما الصوفي ؛ فإن حسناته سيئات المقرب .

ويستعيذ ابن سبعين من توقف أرسطو وتشتيت مسائله الإلهية ، ومن شكوك المشائين ، وحيرة أبي نصر الفارابي ، وتمويه ابن سينا في بعض الأمور ، واضطراب الغزالي وضعفه ، وتردد ابن الصائغ ، وتنوع ابن رشد ، وتلويحات السهروردي ، وتشويش ابن خطيب الري (الفخر الرازي) ، وتخليط الأقدمين ، ورموز جعفر (الصادق) المحتملة ، ومن شطحات بعض رجال الرسالة القشيرية ، ومن تصريف ابن مسرة في الحروف ، ومن تهذيب بعض الأسماء على مذهب ابن قسي صاحب « خلع النعلين » ، وهكذا انتقد ابن سبعين جميع السابقين عليه(٤) .

وينسب لابن سبعين اعتقاده بأن النبوة مكتسبة ، وقد كان سبب نفيه من المغرب أنه قال : لقد حجّر ابن آمنة واسعًا بقوله : « لا نبي بعدي »(٥) .

وكان ابن سبعين يُجَاور في غار حراء يرتجي فيما ينقل عنه أن يأتيه فيه وحي ، كما أتى النبي صلى اللّه عليه وسلم ، بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة ، من أن النبوة مكتسبة ، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا ، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة إن مات على ذلك ، وقد كان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم : كأنهم الحمير حول المدار ، وأنهم لو طافوا به - أي بابن سبعين - كان أفضل من طوافهم بالبيت(٦) .

ومن المعلوم أنه لم يدخل المسجد النبوي في حياته ، ويُفَسر ذلك ؛ أنه صده عن زيارة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه كان إذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - يهرق منه دم كدم الحيض ، واللّه تعالى أعلم بحقيقة أمره(٧) .

وكان ابن سبعين يتعمد اصطناع الألغاز والغموض الشديد في أسلوبه ، حتى إن كبار الصوفية ، ومنهم الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد جلس مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب من الظهر ، ثم قال : إنه - أي ابن سبعين - يسرد كلامًا تعقل مفرداته ، ولا تعقل مركباته(٨) .

وقد عاشت الطريقة السبعينية في مصر عشرات السنين ، من سنة

٦٦٩ هـ بعد انتحار شيخها ، وحتى عصر شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، والمتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، ويعود الفضل الأول في القضاء نهائيًا على هذه الطريقة إلى شيخ الإسلام ، وما بذله لبيان ضلال الطريقة وأتباعها .

● نشأة نظرية الوحدة المطلقة :

لم يكن ابن سبعين وحده القائل بالوحدة المطلقة ، وإنما هو واحد من أبرز القائلين بها ، ومنهم السهروردي المقتول ، والشوذي ، والنفري ، وغيرهم ، وتختلف الوحدة المطلقة عند هؤلاء عن وحدة الوجود أن الأخيرة تثبت حقيقة واحدة هي الحقيقة المحمدية ، والتي لها مظهران ؛ مظهر الإله من ناحية ، ومن الناحية الأخرى مظهر الخلق ، أما الفكرة التي يدور حولها مذهب ابن سبعين في الوحدة المطلقة هي أن الوجود واحد ، وهو وجود الله فقط ، أما سائر الموجودات الأخرى فوجودها عين وجود الواحد .

ويفرق ابن سبعين في الوجود بين ما يسميه « الهوية » ، وهي الكل ، ويقصد بها الربوبية ، وبين ما يسميه « الماهية » ؛ وهي الجزء ، ويقصد بها العبودية ، وتقوم نظريته على فكرة اتحاد الهوية والماهية في وحدة مطلقة ، لذا يقول ابن سبعين : والوجود إما واجب الوجود ، وهو الكل والهوية ، وإما ممكن الوجود ، وهو الجزء والماهية ، فالربوبية هي الهوية التي هي الكل ، والعبودية هي الماهية التي هي الجزء ، فما من حقيقة منسوبة إلى الماهية بالأصالة إلا واسمها جزء ، ولا وجود لكل إلا في الجزء ، ولا وجود لجزء إلا في الكل ، فاتحد الكل بالجزء ، فارتبطا بالأصل ، وهو الوجود ، وافترقا وانفصلا بالفرع ، فالعامة والجهال غلب عليهم العارض ، وهو الكثرة والتعدد ، والخاصة والعلماء غلب عليهم الأصل وهو وحدة الوجود(٩) .

يقول الدكتور / التفتازاني في أطروحته للدكتوراة حول ابن سبعين وفلسفته الصوفية : استوعب ابن سبعين كثيرًا من الفلسفات والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية ، ثم صبغها بصبغة معينة ، وتمثلها على نحو خاص به ، واستطاع أن يخرج من جماع هذه الفلسفات والمذاهب بمذهب صوفي متسق الأجزاء .

ثم يستطرد قائلاً : كان ابن سبعين قائلاً بالوحدة المطلقة ، التي يسميها أحيانًا بالإحاطة ، يعني الإحاطة الوجودية ، والتحقق عند ابن سبعين هو علم الوحدة ، والمحقق هو الكامل الذي أثبت الوجود المطلق الواحد ، وعلم التحقيق عنده رتبة أعلى من علوم الفقهاء والمتكلمين والصوفية والفلاسفة(١٠) .

ويحدثنا شيخ مشايخ الطرق الصوفية الأسبق عن علاقة ابن عربي بابن سبعين فيقول : وفي رأينا أن اعتداد ابن سبعين بنفسه اعتدادًا كبيرًا ، وهو الذي جعله لا يعترف لابن عربي ولا لغيره من معاصريه بأي فضل ، بل جعله يحقره .

ثم يستطرد قائلاً : أما أوجه التشابه التي نجدها بين ابن عربي وابن سبعين في آرائهما ، وإدراج خصومهما لهما في فئة واحدة ، هي فئة القائلين بالوحدة ، فهو لا يعني في رأينا انتماء ابن سبعين إلى ابن عربي ، وإنما يعني أن كليهما قد استمد من مصدر واحد ، وتأثر بمؤثرات واحدة ، فمزج التصوف بالفلسفة ، والقول بالوحدة ، ثم يقرر في نفس الموضع أنهما استمدا من مصدر واحد سابق هو مدرسة ابن مسرة التي أذاعت آراء الأفلاطونية الحديثة .

ومن أقوال ابن سبعين : رَبٌّ مالك ، وعبد هالك ، ووهم حالك ، وحق سالك ، وأنتم ذلك ، اللّه فقط والكثرة وهم(١١) ، اختلط في الإحاطة الزوج مع الفرد ، واتحد فيه النجم مع الورد ، وبالجملة السبت هو الأحد ، والـمُوَحِّدُ هو عين الأحد ، ويوم الفرض هو يوم العرض ، والذاهب من الزمان هو الحاضر ، والأزل في العيان هو الآخر ، والباطن في الجنان هو الظاهر ، والمؤمن في الجنان هو الكافر ، والغبي هو الولي ، والفقير

هو الغني ، وهذه حكمية لا أحداث وهمية .

وكان ابن سبعين يقول : الله فقط والكثرة وهم ، فإنه على قوله : لا موجود إلا الله ، ولهذا كان يقول هو وأصحابه في ذكرهم : ليس إلا الله ، بدلاً من قولنا : لا إله إلا الله ، ولهذا كان يسميهم الشيخ قطب الدين بن القسطلاني : الليسية(١٢) .

● مشايخ الطريقة السبعينية :

إذا نظرنا إلى سلسلة مشايخ الطريقة السبعينية التي أسسها ابن سبعين لوجدنا عجبًا ، ولولا أننا ننقل عن شيخ مشايخ الطرق الصوفية الدكتور / التفتازاني لاتهمنا الصوفية وأتباعهم بالافتراء على الأولياء والمتقين ، لذا نكتفي بالنقل الحرفي من كتاب « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » كما ورد : والطريقة السبعينية التي أسسها ابن سبعين ليست كسائر الطرق الصوفية الأخرى في ترتيب الإسناد ترتيبًا زمنيًّا ينتهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما هي تجعل استمدادها من عديد من الصوفية والفلاسفة ، مسلمين وغير مسلمين ، ودون مراعاة للترتيب الزمني ، فقد أورد الششتري – تلميذ ابن سبعين – إسناد هذه الطريقة السبعينية في أبيات من قصيدة له ، ومن عجب أنه يذكر في عداد شيوخها ؛ هرمس ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والإسكندر الأكبر ، ويذكر أيضًا الحلاج ، والشبلي ، والنفري ، والحبشي ، وقضيب البان ، والشوذي ، والسهروردي المقتول ، وابن الفارض ، وابن قسي ، وابن مسرة ، وابن سينا ، والغزالي الطوسي ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وأبا مدين الغوث ، وابن عربي ، والحراني ، وعدي ، وابن سبعين ، وبهذا تكون الطريقة السبعينية طريقة تلفيقية ، بمعنى أنها تجمع بين ألفاق من المذاهب الإسلامية وغير الإسلامية(١٣) .

والشيء الذي يستحق أن نعلق عليه هو محاولات الدكتور / التفتازاني المستميتة في الدفاع عن ابن سبعين ، فكل قول يُظهرُ فساد عقيدة ابن سبعين يحاول أن يجد له تأويلاً أو مخرجًا ، وكل ثناء على ابن سبعين من أتباع وحدة الوجود يسرده التفتازاني بحماس واضح ، ويقيم أفكار ابن سبعين بقوله : ولو فرض أننا سألنا ابن سبعين نفسه : هل كان صوفيًّا أو كان فيلسوفًا ؟ لكانت إجابته : إنه ليس صوفيًّا ، ولا فيلسوفًا ، وإنما هو محقق جامع لكل الكمالات التي للفقيه والمتكلم والفيلسوف والصوفي ، ويزيد عليها بعلم ليس من جنس ما يُكتسب ، وهو علم الوحدة المطلقة ، أو علم التحقيق ، فيكون بذلك في رتبة أعلى من رتبة الصوفي والفيلسوف(١٤) .

ثم يختم الدكتور / التفتازاني كتابه بقوله : ونحن نرجو أن نكون بهذه الدراسة التي قدمناها عن حياة ابن سبعين ومذهبه ، قد قمنا ببعض ما يجب علينا من العناية بتراثنا الإسلامي ، ودراسة أهم شخصياته التي كانت مجهولة أو شبه مجهولة(١٥) .

إن هذه الرسالة العلمية التي قدمها الدكتور / التفتازاني تثير حمية المسلم المؤمن حين يقرأ كلامًا بعيدًا كل البعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم يتكلف صاحبها في تبرير أقوال ابن سبعين والدفاع عنه ، ويناقش كون ابن سبعين صوفيًّا أو فيلسوفًا ؟ ودون أن يتعرض فيها للنقاط التالية :

١- تقييم أفكار ابن سبعين وتحديد موقعها من الإسلام على هدي من الكتاب والسنة .

٢- كيف يتلقى ابن سبعين عن مشايخ مسلمين وغير مسلمين دون مراعاة للترتيب الزمني ؟!

٣- كيف يمزج ابن سبعين أفكارًا إسلامية وغير إسلامية ، ثم نعتبره من أهم شخصيات التراث الإسلامي ؟!

٤- كيف يجمع ابن سبعين الكمالات ، وهو الواصل إلى علم الوحدة المطلقة ، ويكون في رتبة أعلى من الصوفي والفلسفي ، هل الكمالات في هدم الإسلام وعقيدته ؟!

٥- هل إلقاء الضوء على شخصية مجهولة كابن سبعين لا

يُعرف عنها إلا دورها في انحراف أفكار الصوفية يعد عملاً واجبًا علينا للعناية بتراثنا ؟!

فمتى ينتصر مشايخ الطرق لعقيدة أهل السنة والجماعة ؟! وقد كان حريًّا بالدكتور/ التفتازاني أن ينضم لكثير من العلماء القدامى والمعاصرين الذين تصدوا لهذه التيارات المنحرفة، وأن ينبه الناس ويصدر الفتاوى التي تكشف خطورة هذه الشطحات وتلك الفلسفات، ومن هؤلاء أبو حيان الأندلسي الذي يُصدر تحذيرًا من الأندلس – موطن ابن سبعين – يحذر الناس من الوقوع في هذه المتاهات الضالة.

● تحذير من الأندلس :

ولد محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي سنة ٦٥٤ هـ، وهو صاحب تفسير القرآن الكريم المسمى « البحر المحيط »، وقد عاصر ابن عربي المولود أيضًا في الأندلس، وقد أدرك أبو حيان خطورة أفكار ابن عربي، وهذا واضح من كلام تاج الدين الحفني تلميذ أبي حيان، الذي يكرر في كتابه « الدر اللقيط من البحر المحيط » تحذير الناس من شر ابن عربي، فيقول: سمعنا بعض الضالين – وهو ابن عربي صاحب « الفتوحات المكية » – وكان ينبغي أن يُسمى بالقبوح الهلكية، وأنه يزعم أن الولي خير من النبي؛ لأن الولي يأخذ عن اللّه بغير واسطة، والنبي يأخذ بواسطة عن اللّه، ولأن الولي قاعد في الحضرة الإلهية، والنبي مُرسل إلى قوم، ومن كان في الحضرة أفضل ممن يرسله صاحب الحضرة ... إلى أشياء من الكفريات والزندقة، وقد كَثُرَ مُعَظمو هذا الرجل في هذا الزمان من غلاة الزنادقة القائلة بالوحدة، ، نسأل اللّه السلامة في أدياننا وأبداننا(١٦) .

ويقول في موطن آخر :

ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهرًا، وانتمى إلى الصوفية؛ حلول اللّه في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة، كالحلاج، والشوذي، وابن أحلى، وابن عربي المقيم في دمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء؛ كابن سبعين، والششتري تلميذه، وابن مُطرف المقيم بمرسية، والصفار المقتول بغرناطة، وابن لباج، وابن الحسن المقيم بلورقة، وممن رأيناه يُرمى بهذا المذهب: العفيف التلمساني، وله في ذلك أشعار كثيرة، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع المقيم بدمشق، وعبد الواحد بن المؤخر المقيم بصعيد مصر، والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ الششتري المقيم بحارة زويلة بالقاهرة، والشريف عبد العزيز المنوفي، وتلميذه عبد الغفار القوصي، وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحًا لدين اللّه – يعلم اللّه ذلك – وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليحذروهم فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون اللّه ورسله، ويقولون بقدم العالم، وينكرون البعث، وقد أولع جهلة من يلتمس التصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة اللّه تعالى وأولياؤه والأمر فيهم كما ذكرت(١٧) .

ألا يستحق الأمر أن يصدر علماء الأزهر الشريف نسخة حديثة من تحذير أبي حيان الأندلسي تتضمن سرد أسماء معاصرة من مشايخ الطرق الذين يعتقدون نفس أفكار ابن عربي وابن سبعين والجيلي، ما أحوجنا اليوم لمن ينصح لدين اللّه، ويشفق على ضعفاء المسلمين، ويحذو حذو أبي حيان الأندلسي في تحذير الناس ممن هم أخطر على العقيدة من أعداء الدين، وقبل أن ننهي حديثنا أود أن أوجز ما قلناه في نقاط محددة هي :

١ – يرى ابن عربي عقيدة وحدة الوجود التي تقول بوجود واحد هو الحقيقة المحمدية، ولها مظهران هما؛ الخالق، والمخلوق، أما ابن سبعين فقد أوصل وحدة الوجود إلى الوحدة المطلقة، حيث يقول: إن الوجود وجود واحد فقط، هو

وجود اللّه ، وليس لسائر الموجودات وجود مستقل ، وإنما وجودها هو عين الوجود الواحد .

٢- يرى أصحاب الوحدة المطلقة أن شهادة التوحيد لا ينبغي أن تكون لا إله إلا اللّه ؛ لأنها باثنينية الخالق والمخلوق ، وهم يرون التحقيق في قول : ليس إلا اللّه ، ولذا سُموا بالليسية .

٣- يعتقد ابن سبعين أن النبوة مكتسبة ، وكان يجاور في غار حراء ينتظر الوحي ، ويقول : لقد حجَّر ابن آمنة واسعًا حيث قال : « لا نبي بعدي » .

٤- يعترف ابن سبعين أن مكونات نظريته هي أفكار تلفيقية جمعها الرجل من الفلسفة القديمة ، حتى أنه يذكر في سلسلة مشايخ طريقته كل من ؛ هرمس ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والإسكندر الأكبر ، بالإضافة إلى أغلب الفلاسفة المسلمين أصحاب الشطحات والأفكار الباطنية ؛ كالحلاج ، وابن رشد ، وابن سينا .. وغيرهم .

٥- مشايخ الطريقة السبعينية ليس عندهم شرط التلقي أو السماع ، أو حتى المعاصرة بين الشيخ والمريد ، كما يعرف الناس عن طرق تلقي العلم ، ولكن مشايخهم لا يحجزهم حاجز الزمن ، بل هو مطوي لهم ، ولذلك ضمت سلسلة مشايخهم أشخاصًا من هنا وهناك لا يجمعهم زمان ولا مكان .

٦- يجد أمثال ابن سبعين حظهم من العناية والاهتمام من الباحثين وطلاب الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه ، بينما يقل الاهتمام بمن قام على أكتافهم هذا الدين ، ومن خدمه من علماء السلف والتابعين .

٧- غيرة علماء المسلمين على ظهور هذه الأفكار ، ومنهم على سبيل المثال الحفني ، تلميذ أبي حيان الأندلسي ، الذي شغله الأمر وهو يكتب تفسيره للقرآن ، ظهر ابن عربي في الأندلس ، وبدأت أفكاره تنتشر بين الناس ويظهر لها الأتباع ، فما كان من الرجل إلا أن سجل اعتراضه على بروز هذه الأفكار ، بل إنه راح يحصي أشهر أتباع وحدة الوجود في زمانه وأماكنهم ، تحذيرًا للناس من خطورة أفكارهم على دين الإسلام ، ويا ليت علماؤنا اليوم يتأسون بنهج علماء سلفنا الصالح .

وإلى الملتقى في المقالة التالية - بمشيئة اللّه تعالى - حيث نستكمل الحديث عن عبد الكريم الجيلي ونظريته عن الإنسان الكامل والتي تدندن حولها كثير من أوراد الطرق الصوفية المعاصرة ، واللّه ولي التوفيق .

محمود المراكبي

---

(١) « الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي » ليوسف زيدان (١١٣) .

(٢) « تاريخ الإسلام » مجلد ٣٠ (ورقة٢٢٨أ) نقلاً عن ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور أبي الوفا التفتازاني (٦٣) .

(٣) « الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي » ليوسف زيدان (١١٤) .

(٤) « الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي » ليوسف زيدان (١١٥) .

(٥) « فوات الوفيات » (١:٢٤٨) نقلاً عن ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور أبي الوفا التفتازاني (٦٣) .

(٦) « البداية والنهاية » لابن كثير (١٣: ٢٧٦) .

(٧) « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » للتلمساني (٢: ١٩٦) .

(٨) « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » للدكتور أبي الوفا التفتازاني (٩١) .

(٩) « الصوفية في نظر الإسلام » لسميح عاطف الزين (٦٧) .

(١٠) « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » للدكتور أبي الوفا التفتازاني (٦٧) .

(١١) « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » للدكتور أبي الوفا التفتازاني (٢٣٦) .

(١٢) « مجموع الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١: ٩١) .

(١٣) « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » للدكتور أبي الوفا التفتازاني (١٦٩) .

(١٤) « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » للدكتور أبي الوفا التفتازاني (٤٥٦) .

(١٥) « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » للدكتور أبي الوفا التفتازاني (٤٧٠) .

(١٦) « الدر اللقيط من البحر المحيط » لتاج الدين الحفني (٦: ١٥٦) .

(١٧) « الدر على هامش البحر المحيط » تاج الدين الحفني (٣: ٤٤٨) بتصرف .

وقفات مع القصة في كتاب الله

يوسف عليه السلام

بقلم

الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

الحمد للّه الذي بيده مقاليد الأمور ، وأشهد ألا إله إلا اللّه العزيز الغفور ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصبور الشكور ، عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه الصلاة والسلام .

وبعد :

فقد قدَّمْنا من قبل بتقدمة موجزة بين يدي قصة يوسف ، عليه السلام ، وهذه الحلقة الأولى من حلقات هذه القصة المباركة ، وهي تدور حول الآيات التالية : ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إنّي رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ❁ قال يا بني لا تقصص رُءْيَاكَ على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا إن الشيطان للإنسانِ عدوٌّ مبينٌ ❁ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليمٌ حكيمٌ ﴾ الآيات [يوسف : ٤-٦] ، ونستعين اللّه في استخلاص الفوائد التالية من الآيات السابقة :

❁ **الأولى** : من قوله تعالى : ﴿ إذ قال يوسف لأبيه .. ﴾ ، والمعنى : اذكر يا محمد وقص على قومك ما كان من يوسف مع أبيه وإخوته ، وسواء كان هذا القصص تلبية لطلب بعض اليهود أو لرغبة بعض الصحابة في القصص ، كما جاء في بعض التفاسير ، سواء كان كذلك أو قصّه الرسول صلى اللّه عليه وسلم عليهم ابتداءً بغير طلب من أحد ، المهم أنه آية وبرهان على صدق نُبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم ، وأن هذا

الحلقة الثانية

الرؤيا

القرآن من عند الله لا شك في ذلك ، وإلا فمن أين لمحمد صلى الله عليه وسلم هذه الأخبار الصادقة والتفاصيل الدقيقة عن قوم عاشوا في مصر في بيئة غير بيئته ، وزمن غير زمنه بمراحل بعيدة ، ولم يسبق لمحمد صلى الله عليه وسلم أن جلس مع أحد من أهل الكتاب أو قرأ كتابًا ، ليس هناك إلا احتمال واحد لا ينكره إلا مكابر ولا يردُّه إلا معاند ، ألا وهو أن هذه القصة وغيرها من القصص وحي من الله الذي أحاط بكل شيء علمًا ، وأنزل ذلك على نبيه ورسوله الخاتم .

❋ **الثانية : في الرؤيا** : ويلاحظ أن الرؤيا محورية في هذه القصة ، فبها بدأت ، وبها دعا يوسف ، عليه السلام ، صاحبيه في السجن ، وبالرؤيا أخرج الله يوسف من السجن ومكنه من خزائن مصر ، كل ذلك يدل على أهمية الرؤيا في ذلك الوقت وتلك البيئة ، ولذلك حذّر يعقوب ابنه يوسف من الكلام عنها أو التحدث بها أمام إخوته ، فكانت الرؤيا بداية البشرى ، ثم كانت طريقًا إلى الدعوة ، ثم طريقًا لتمكين يوسف ، عليه السلام ، بفضل الله ورحمته ، ثم ختمت القصة بتأويلها ، أي بوقوع رؤيا يوسف كما جاءت .

❋ **الثالثة** : في استيعاب يوسف ، عليه السلام ، وهو صبي صغير لتفاصيل هذه الرؤيا واهتمامه بها وقصها على أبيه دليل واضح على ظهور علامات النبوة المبكرة عليه ، كما ظهرت مثل هذه العلامات أيضًا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو في سن مبكرة ، فالتشابه واضح ، وهذه العلامات مثل ؛ الذكاء ، النجابة ، الفطنة ، وغيرها .

❋ **الرابعة** : في تحذير يعقوب ، عليه السلام ، لولده من التحدث بالرؤيا مع إخوته ثقةً بعقل ولده ونضجه مع صغر سنّه ، وفي ذلك جواز التحذير من الشر حتى ولو كان من الإخوة ، وفي ذلك أيضًا عدم اطمئنان يعقوب لمسلك إخوة يوسف ، عليه السلام ، وقد ظهر فعلاً ما كان يحذره يعقوب ، عليه السلام ، من هؤلاء الأبناء ، وظهر تمكن الشيطان من نفوسهم ، وما ذلك إلا لفساد في فطرهم ، وإلا لما كان يصل بهم الأمر إلى هذا الحد الذي أدى إلى تآمرهم على قتل أخيهم أو تغْييبه في الجب ،

واستباحة الكذب لأنفسهم على أبيهم أكثر من مرة ، وهذه هي طبيعة بني إسرائيل إلى يومنا هذا – باستثناء الأنبياء منهم – وما حدث منهم مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، ومع المسلمين عبر مراحل تاريخ الإسلام ، بل ومع البشرية كلها دليل واضح على فساد فطرهم منذ القدم ، فهل تعلّم المسلمون مع من يتعاملون ؟

❁ **الخامسة** : في قوله تعالى حكاية عن يعقوب ، عليه السلام : ﴿ وكذلكَ يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليمٌ حكيمٌ ﴾ [يوسف : ٦] ، أي يختارك ربك يا يوسف لنبوته ورسالته ويعلمك تعبير الرؤيا وغيرها ، ويتم نعمته عليك بإرسالك والإيحاء إليك ، كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق بأن جعل في ذريتهما النبوة والكتاب ، وفي ذلك ما فيه من شرف وكرامة على آل يعقوب ، لكن أنّى لهم يفهمون ذلك والشيطان متربص بهم .

وفي كل ما تقدّم إشارة إلى نعمة اللّه على يعقوب ، عليه السلام ، بالنبوة وعلم تعبير الرؤيا ، وفيها كذلك إشارة إلى البشرى التي تحملها هذه الرؤيا ، لكن التمكين لا بد أن يسبقه ابتلاء ، كذلك جرت سنة اللّه مع خلقه ، وبخاصة الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، فاللّه وسع كل شيء حكمًا وعلمًا .

❁ **السادسة** : في أمور يندفع بها الحسد : وقد وجه يعقوب ابنه يوسف ، عليه السلام ، إلى أمور يدفع بها عن نفسه بإذن اللّه غائلة حسد إخوته له ، وإذا كان كل ذي نعمة محسود فقد وجه اللّه عباده في كتابه الكريم إلى الاعتصام به والالتجاء إليه والتعوذ به من شر حاسد إذا حسد .

وقد جمع الإمام ابن القيم ، رحمه اللّه ، أمورًا يندفع بها شر الحسد بإذن اللّه في تفسير سورة ((الفلق)) ؛ نذكر منها هنا ما تتم به الفائدة إن شاء اللّه ، وهي كالتالي :

١– الاستعاذة باللّه من شر الحاسد ، والتحصن باللّه سبحانه واللجأ إليه ، فهو سبحانه قادر على دفع شر كل ذي شر .

٢– تقوى اللّه ، عز وجل ، وحفظه عند أمره ونهيه ، فمن اتقى اللّه تولى اللّه حفظه ولم يكله إلى غيره ، قال صلى اللّه عليه وسلم لعبد اللّه بن عباس : ((احفظ اللّه يحفظك ، احفظ اللّه تجده تجاهك)) ، فمن كان اللّه حافظه وأمامه فممن يخاف ؟ وممن يحذر ؟

٣– الصبر على عدوّه ، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً ، فما نُصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه ، والتوكل على اللّه ولا يستطل تأخيره وبغيه ، فإنه كما بغى الحاسد كان بغيه جندًا وقوة للمبغي عليه (المحسود) ، يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر ، ولو رأى المبغي عليه ذلك لسر ببغيه عليه ، ولكن

لِضعْف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي، دون آخره ومآله. وقد قال تعالى: ﴿ ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنّه الله إنّ الله لعفو غفور ﴾ [الحج: ٦٠].

٤- التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه، قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته للعبد، قال تعالى: ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق: ٣]، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه، وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله، ثم كادت له السماوات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، ولا يضرّه إلا أذى لا بد منه، كالحر والبرد، والجوع والعطش.

٥- السبب الخامس من أسباب دفع أذى الحاسد؛ هو فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له، ومما يقوي العبد على ذلك السبب التالي:

٦- السادس: الإخلاص لله والإقبال عليه وحده، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه، حتى تملأ عليه نفسه وتغمرها، فإن الله يصرف السوء والفحشاء عن عباده المخلصين، فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن.

٧- تجريد التوبة؛ فإن الذنوب سبب في تسليط الأعداء، وقد يكون منها ما لا يعلمه الإنسان.

٨- الصدقة والإحسان؛ فإنهما يدفعان البلاء.

٩- السبب التاسع؛ وهو من أصعب الأسباب على النفس، ولا يوفق له إلا ذو حظ عظيم، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذًى وشرًّا وحسدًا ازددْت إليه إحسانًا وله نصيحة وعليه شفقة.

١٠- والسبب العاشر؛ وهو الجامع لذلك كلّه، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد والترحُّل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، فإذا جرّد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمّنه منه.

ونحن نستعيذ بالله لنا وللمسلمين من شر كل حاسد إذا حسد، وإلى الله نبرأ، وعلى الله نتوكل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وللحديث بقية إن شاء الله.

باب التراجم

من أعلام الدعوة

جمع وترتيب

فتحى أمين عثمان

وكيل عام الجماعة

الشيخ سليمان رشاد

١٩٠٩ / ١٩٩٣ م

– **اسمه** : سليمان رشاد محمد .

– **مولده** : ولد في قرية ((بلانة)) بالنوبة ١٩٠٩ م .

– دراسته : التحق بمدرسة ((الدُّر)) الابتدائية – شأنه في ذلك شأن معظم أبناء النوبة – حيث لم تكن هناك مدارس غيرها .

– واصل تعليمه حتى حصل في عام ١٩٣٢ م على شهادة البكالوريا .

– عمل موظفًا في وزارة الأشغال العمومية (الري حاليًا) .

– **معارفه** : قد يكون عمل الشيخ سليمان رشاد عمل إداري ، إلا أن الرجل لم يكف عن الاطلاع ، مما جعله يُحصل معارف إسلامية من ثقافته واطلاعاته ، الأمر الذي جعله يقف في صف كثير من علماء أنصار السنة المحمدية ، بل ربما علماء الإسلام .

– **صلته بأنصار السنة** : قد انضم الشيخ سليمان رشاد إلى جماعة أنصار السنة ما بين سنة ١٩٣٦ م إلى ١٩٣٩ م ، وهي نفس الفترة التي انضم فيها إلى الجماعة أحد أبناء النوبة البارزين في الدعوة بعد ذلك وهو الشيخ عبد اللطيف حسين ، الذي كان يشغل وكيل الجماعة فترة طويلة .

ويرجع سبب انضمامه إلى جماعة أنصار السنة المحمدية بعابدين إلى صداقته لأحد أعضائها من بلاد النوبة المتقدمين عليه

في الدعوة ، وهو الشيخ محمد حسين سيدي ، فقد قام الأخير بعرض منهج الجماعة عليه ، فانشرح صدره للحق ، وانضم إلى ركب الجماعة ، وظل مجاهدًا محتسبًا قرابة نصف قرن من الزمان ، لم ينقطع فيه عن طلب العلم ودراسة أمهات الكتب في الفقه والحديث والتفسير ، مع حفظه للقرآن الكريم ومجموعة كبيرة من أحاديث الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، مما جعله يدخل في حوارات كثيرة مع فضيلة الشيخ أبي الوفاء درويش وعبد اللطيف حسين ، كما كانت له تعليقات على الحوارات التي تتم بين علماء أنصار السنة كما كانت له حوارات مع الشيخ أبي الوفاء درويش حول القراءة من المصحف في الصلاة ، وحول احتساب الركعة عند إدراك الإمام راكعًا .

وكان بينه وبين الأخ سعد صادق حوارًا حول زواج الكتابيات ذهب فيه مذهبًا يدل على فقه للنصوص وبعد للنظر .

- **قلت** : إذا كان الشيخ محمد صادق عرنوس يمثل شاعر الجماعة ، فإن سليمان رشاد يمثل كاتب خطبها ، فقد كان من كتاباته التي زخرت بها مجلة الهدي النبوي بجانب مقالاته وحواراته أنه كان يكتب خطبة جمعة في كل عدد من مجلة الهدي ، ولقد امتازت هذه الخطب بأنها كانت تكتب في مناسبات شتى ، مع كونها تتميز بسهولة اللغة والعلم الغزير ، وكانت مدعمة بالأدلة الشرعية من كتاب اللّه وسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

ولقد كانت هذه الخطب طريقًا لتعليم الراغبين في تعلم الخطابة ، مما أهّل كثيرين من أنصار السنة إلى اعتلاء المنابر ، وأن يصيروا بعد قراءة هذه الخطب دعاة للتوحيد .

وهذه الخطب قد تم جمعها لمن يريد أن يحصل عليها للاستفادة منها .

لقد كان الشيخ سليمان رشاد من المعروفين في أنصار السنة المحمدية بأنه دءوب العمل ، نزاعًا إلى القيام بدور هام وسط إخوانه من أنصار السنة ، مستخدمًا في ذلك مهارته العقلية ، وما وهبه اللّه من رؤية وحسن بصيرة ، الأمر الذي لفت إليه نظر الشيخ حامد الفقي (مؤسس الجماعة) ، وقد كان لنشاطه الكبير في وسط إخوانه أن اختير عضوًا بمجلس إدارة المركز العام ، كما عهد إليه الشيخ حامد الفقي – الذي أحبه ووثق فيه بجانب كبير من مسئولية تحرير المجلة – في الوقت الذي كان يشرف على تحريرها العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر المحدث الكبير .

فكانت له بصمات واضحة في اختيار موضوعات المجلة وفي لغة تحريرها ، وذلك لما عرف عنه من رؤية وأناة ، وكم صوب لكتاب كثيرين بالمجلة عبارات كتبوها ربما تعرضهم للمساءلة ، فكان بعد نظره هذا سرًا في إعجاب إخوانه بشخصيته .

– والشيخ سليمان رشاد من الكتاب القلائل الذين أتيح لهم أن يكتبوا في مجلة الهدي النبوي ، وأن يكون أحد الكتاب البارزين في مجلة التوحيد

التي أصدرتها الجماعة بعد إعادة إشهارها ، فكتب فيها عدة موضوعات كان أشهرها وأبرزها ما يمكن أن يسمى تفسيرًا ميسرًا لكلمات القرآن كله ، وقد ظل يكتب هذا التفسير لمدة عامين أو أكثر ، مما يدل على سعة إطلاعه وقدرته على الاستيعاب .

– ومما يذكر للشيخ سليمان رشاد أنه لم يقف به نبوغه عند الكتابة فقط ، بل تعداها إلى الإفتاء في بعض المسائل والرد على أسئلة القراء بمجلة الهدي النبوي ، وذلك في زمن كان من بين علماء الجماعة الشيخ أبو الوفاء درويش ، والشيخ أحمد محمد شاكر ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والدكتور خليل هراس ، ولم يمنعه وجود هؤلاء العلماء أن يقول في بعض المسائل برأي ، ومنها قضية ((قضاء الفوائت من الصلاة)) ، وكذلك ((الطلاق الثلاث ، سواء بلفظ الثلاث مرة واحدة أو متفرقة متكررة)) .

ـ وكذلك كان من معاصريه الذين علموا أنفسهم وصاروا كتابًا في مجلة الهدي الشيخ محمد صالح سعدان ، وهو أيضًا من بلاد النوبة وصديق حميم للشيخ سليمان رشاد .

– وبعد إحالته إلى المعاش عام ١٩٦٧ م لم يتوقف الشيخ رشاد سليمان عن الدعوة إلى الله ، وفي تلك الفترة أدمجت جماعة أنصار السنة في غيرها وتعطلت مجلة الهدي النبوي ، وكان الغرض من ذلك إسكات صوت الجماعة ، ولكن ذكاء الشيخ سليمان رشاد هداه إلى أن يذهب فيستقر في بلدته ((بلانة)) بالنوبة ، فكان متحدثًا وخطيبًا في مساجد القرية النوبية ، وقد لمسنا أثر نشاطه على شباب القرية والبلاد المجاورة لها ، مما جعلهم يقبلون على اعتناق العقيدة الصحيحة وأن يعملوا على نشرها في كل بلاد النوبة .

– **وفاته** : وبعد أن ختم حياته بجلائل الأعمال ، وبعد حياة حافلة بالجهاد في سبيل الله وعامرة بالإيمان بدعوة التوحيد الخالص توفي ببلدته بلانة عام ١٩٩٣ م .

وقد ترك كتابًا واحدًا بعنوان ((التوحيد الخالص)) ، رحمه الله ، وجزاه خيرًا بما قدم من خدمات للإسلام والمسلمين .

والله من وراء القصد .

* * * * *

مصادر الترجمة

- سعد صادق (الأخبار ١٩٩٤/٧/٢٩ م) .
- مجلة الهدي النبوي .
- مجلة التوحيد .

وكتبه
فتحي أمين عثمان
وكيل الجماعة

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ .

من أخبار الجماعة

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام

قرر مجلس إدارة المركز العام في جلسته المنعقدة يوم الخميس ٣٠ جماد أول ١٤١٨هـ الموافق ٢ أكتوبر ١٩٩٧م دعوة الجمعية العمومية غير العادية للانعقاد ، وذلك بمشيئة اللّه تعالى يوم الخميس ٢٧ رجب ١٤١٨هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٩٧م ، وذلك للنظر في تعديل بعض بنود اللائحة الخاصة بالجماعة ، ويمثل كل فرع من فروع الجماعة بعضوين يحضران الاجتماع بتفويض من مجلس إدارة الفرع على أن يكون التفويض مختومًا بختم الفرع . واللّه ولي التوفيق .

السكرتير العام

د / الوصيف علي حزة

تهنئة

يسر جمعية أنصار السنة المحمدية بقطور أن تهنئ الأستاذ الدكتور / عبد العزيز موسى الدبور على حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر وتتمنى له مزيدًا من التقدم العلمي في الدعوة إلى اللّه عز وجل .

قل هو الله أحد

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦م

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

■ ■ ■

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن والسنه الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

■ ■ ■

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملاً وخلقاً .

■ ■ ■

٤ الدعوة الى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشرع غيره - فى أى شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه، منازع إياه فى حقوقه.

تلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية مساء الأحد والأربعاء من كل اسبوع

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣